مكتبة العرب الحصرية
https://t.me/bookArb
by. https://t.me/d110d

إهداء

إلى الطفلةِ التي ظنت أنها بطلة فيلمٍ عربيٍّ قديم، وأن الحب بإمكانه أن يُغير كل شيءٍ

ويغفر للمخطئ في حقها أي شيء..

ومع كلمة النهاية تذكرت أن افتتاحية الفيلم قد كُتب عليها:

«هذا الفيلم غير حقيقيٍّ وجميع أحداثه من وحي خيال قلبك.. قلبك المغفل فقط!».

اعتراف

ستظل أكبر وأعمق مشكلاتي أنني دائمًا ما أُصدق أوهامي، أُصدقها لدرجةِ ألا أعتبرها أوهامًا.

أثق بتخيلاتي وأثق أنها ستتحقق حتى في البشر.. أثق

بغريبٍ لأنه فقط أمسك بيدي دون التفكير في أنه أمسك بها ليتركها في وقتٍ أصعب وفي مكانٍ لن أجد فيه سواه..

باختياراتي وإن آلمتني.. بمشاعري وإن أهلكتني..

بالوعود وإن لم يفِ بها أحد غيري.. بواقعية الأغاني وأبطال الأساطير العاطفية، بالحب الأبدي الغير مشروط.

لا أعلم إلى متى سأظل طفلة ليست مدللة ولا حتى تمتلك حق التدلل؟ ولكن ها هي أنا ولا أنتظر اليوم الذي أُصبح فيه أخرى غيري.

آيـــة

(1)

إسكندرية

أنا هويت يا ترى انتهيت؟

- غرفة ليزا - السادسة صباحًا

وسط إضاءةٍ بسيطة ودخانِ سجائرٍ تكاد لا تراها من خلاله كانت تجلس على الأرض، محاطة بالروايات والكتب من كل مكان، لا نسمع سوى صوت أنفاسها ودقات عقارب الساعة التي كانت تثير غضبها بين الحين والآخر، تبدأ في سيجارة جديدة فور انتهاء ما بيدها، تُدخن كالمقبلين على الانتحار أو كالناجين على مضدٍ منه.. إلى جوارها بقايا فنجان قهوة وقطعة بسكويتٍ يبدو أنها لم تقترب منها قط، يرن هاتفها كل ثلاثِ دقائق باسمٍ مختلف ولم تعطِ أي اهتمامٍ حتى لو بنظرة.

ظلت على هذه الحالة حتى سمعنا صوتها لأول مرة وهي تقرأ إحدى صفحات الرواية التي كانت تتصفحها، يبدو أن هذا الجزء قد أثار شيئًا ما بداخلها، كانت رواية لـ أحلام مستغانمي «الأسود يليق بك».

مكتبة العرب الحصرية على
التليجرام @bookArb

أخذت تقرأ بصوتٍ مسموع وبغضبٍ واضح.

ليزا:

«هي الآن حرة، لكن كلما تحررت منه؛ سعدت وحزنت في آنٍ واحد، وكلما شُفيت من عبوديتها؛ عانت من وعكةِ حريتها، إنها تتصرف بيُتم فتاةٍ عليها بعد الآن أن تُقرر وحدها قدرها، لقد غدت يتيمة مرتين، ليس الحب وحده ما فقدت؛ بل تلك القوة الأبوية الرادعة التي كانت تطوقها بالأسئلة وتحاصرها بالغيرة.

اليتم العاطفي هو ألمك السري أمام كل خيار، لأنكِ في كل ما تفعلينه لا تُقدمين حسابًا لأحدٍ سوى نفسك كأن لا أحد يعنيه أمرك.

مأساة الحب الكبيرة ليست في موتهِ صغيرًا بل في كونهِ بعد رحيله يتركنا صغارًا.

هو ليس حزينًا من أجلها بل لأنه جعلها كبيرة وتركته صغيرًا!».

هنا ومع آخر سطرٍ تفوهث به انفرطت في بكاءٍ أعقبه نحيبٍ لا ينقطع.. ظلت على هذا الحال ما يقرب من النصف ساعة، ويبدو أن ما أسكتها بعد هذا الوقت هو قرب نفاذ طاقتها.. فقد أصبحت كالآلةِ الموسيقية مبتورة الأوتار لا يصدر عنها أي صوت، تبكي دون أن تسقط من عينيها أيةُ دموع، فقط تتحرك شفاها بشيءٍ غير مسموعٍ جيدًا أقرب إلى جلد الذات بعد منتصف الليل.

زحفت حتى سريرها واستندت على أطرافه حتى تمكنت من الجلوس عليه

ومن ثم اتخذت وضع الجنين..

في تلك اللحظة تحول الحائط في عينيها إلى شاشة تلفزيونٍ كبيرة، استمرت في عرض أحداثٍ سريعة غير متصلة عن حياتها، طفلة في عمر السادسة تشبهها كثيرًا، تقف في مكتبٍ به رجل وامرأة جالسين أمام مديرة دار الأيتام.

السيدة:

-البنت كانت عجباني بصراحة، بس شكلها شقي أوي، يا ريت تشوفي لنا طفلة أهدى من كده.

تنظر المديرة إلى السيدة نظرة غضبٍ تعقبها نظرة إلى الطفلة بعطفٍ بالغ قائلة:

المديرة:

-موناليزا ممكن يا حبيبتي تروحي إنتِ تلعبي مع إخواتك؟

ليزا:

-حاضر.

تخرج ولكن تقف خفيةً خلف أحد الشبابيك تستمع إلى ما يقولون.

المديرة:

-إزاي حضرتك تقولي حاجة زي دي قدام البنت؟! مفيش أي اعتبار لنفسيتها؟ يظهر إننا كنا مخطئين لما شُفنا إنكم هتكونوا أمناء عليها.. دي مش تلاجة عند حضرتك في المحل علشان تقولي مش عجباني بدلوها! طلب حضرتك مرفوض سواء بتبني ليزا أو أي طفلة من أطفال الدار.. اتفضلوا.

ومن ثمَّ يتجسد أمامها مشهدٌ آخر وهي تبكي في أحد أطراف الجنينة بمفردها قائلة:

ليزا:

-ليه يا رب؟ ليه؟!

-مس نبيلة قالت ما يصحش نقول لربنا ليه؟

-بس أنا عايزة أعرف ليه أنا ماليش بابا وماما؟

***

يعقبه مشهد آخر... هنا نجدها وهي في العاشرة من عمرها في شجارٍ مع إحدى الطالبات في فناء المدرسة.

الطالبة:

-إنتِ نسيتي نفسك ولا إيه؟ يبص لمين؟ لواحدة لا ليها أصل ولا فصل تربية ملاجئ!

***

يعقبه مشهدٍ آخر... وهي ما زالت بنفس السن والملابس وأمامها أمها (السيدة التي تبنتها).

منى:

-ومين قال لهم على موضوع الملجأ؟

ليزا:

-أنا.. هو عيب؟

منى:

-مش عيب يا حبيبتي، بس فيه ناس ما بتستوعبش الحقيقة أحيانًا.

ليزا:

-يعني أكذب علشان يحبوني؟

منى:

-اللي تبقي مضطرة تكدبي عليه علشان يحبك المفروض ما تفرقش معاكِ محبته.. اللي هيحبك بجد هيحبك زي ما انتِ.

ليزا:

-أنا بحبك أوي يا ماما.

منى:

-أنا أكتر يا عيون ماما.

ليزا:

-بابا وحشني أوي.

منى:

-وحشنا كلنا يا حبيبتي ادعي له بالرحمة.

ليزا:

-ما لحقتش أشوفه، كان نفسي يفضل موجود.

منى:

-كان بيحبك أوي.

ليزا:

-وانا كمان كنت بحبه.

مشهد آخر.. ليزا في الثالثةِ والعشرين من عمرها بملابس سوداء وبيدها صورة لأمها وإلى جوارها رجل وسيدة يتحدثان معها.

الرجل:

-ربنا يصبرك يا بنتي، بس أنا عايزك تشدي حيلك كدا علشان تقدري تلمي حاجتك وتشوفي لك حتة تقعدي فيها.

تنظر له ليزا باستغرابٍ.

الرجل:

-أنا شفت مشتري للبيت ده، وزي ما انتِ شايفة البيت قديم ومحتاج توضيب علشان ما ياكلوناش في السعر.

السيدة:

-وطبعًا إنتِ عارفة إن لما إجراءات إعلان الوراثة تنتهي مش هيكون من حقك أي حاجة، وكدا كدا هتكوني مضطرة تمشي، فخير البر عاجله.

هنا يدخل راشد العدوي المحامي.

راشد:

-للأسف حضراتكم اللي مضطرين تمشوا دلوقتي حالًا لإن أكيد الآنسة موناليزا محتاجة ترتاح.

الرجل:

-أهلًا يا متر إزيك؟ فيه كلمتين بس هنخلصهم مع ليزا بنتنا وهنمشي.

راشد:

-مالهمش لازمة يا افندم، مدام منى اتنازلت عن كل ممتلكاتها لبنتها ليزا، سواق الشقة دي أو شقة القاهرة أو مكتب الدقي.

الرجل:

-دي أكيد اتجننت! جايبة لنا واحدة من الشارع وبتسلم لها كل حاجة!

راشد:

-كلمة زيادة وهطلب لك البوليس، اتفضل اطلع بره!

ينظر الرجل والمرأة إليه بشيءٍ من الغيظ ويخرجان على مضدٍ، ومن ثم تجلس ليزا وإلى جوارها راشد.

راشد:

-حقك عليا يا بنتي.

ليزا:

-وانت ذنبك إيه يا أونكل؟ ما تقلقش عليا أنا خلاص اتعودت، الكلام دا ما يجيش حاجة جنب اللي شفته واللي سمعته من ساعة ما ماما راحت.

راشد:

-الله يرحمها، كانت عارفة إن كل دا هيحصل علشان كدا حبت تأمن لك حياتك من بعدها.

ليزا:

-الله يرحمها!

راشد:

-طب إنتِ ناوية على إيه؟

ليزا:

-لسه ما قررتش بس غالبًا هقفل الشقة دي وهستقر في شقة القاهرة.

راشد:

-طالما مش هتقعدي فيها إنتِ ممكن تبيعها وتستفيدي بالفلوس.

ليزا:

-أنا مش هبيع المكان اللي ذكريات أمي فيه، خلينا نعتبر إن هنا هيبقى المخبأ بتاعي، كل ما الدنيا تضيق آجي واستخبى هنا زي ما كانت بتعمل هي بالضبط.

- مشهد آخر بمكتب الدقي:

شاب ثلاثيني يجلس إلى الكرسي المقابل لكرسي المدير بمكتب «منى ديزاين»، يبدو أنه ينتظر منذ وقتٍ قصير، يعبث بهاتفهِ في بداية الأمر، وسرعان ما خطفت أنظاره المكتبة المواجهه؛ فأخذته قدماه إلى هناك وبدت على وجهه ملامح الدهشة، وفي ذلك الوقت دخلت ليزا وسرعان ما اتجهت إلى مكتبها.

ليزا:

-أنا آسفة جدًا جدًا على التأخير.. أنا في العادي مواعيدي مضبوطة، بس الطريق فعلًا زحمة جدًا، وكان عندي معاينة مهمة كان صعب أأجلها.

يبدو أن انتباهه وجسده ما زالا عالقين عند المكتبة.

ليزا:

-ديزاين المكتبة عجبك ولا إيه؟

يتجه ناحية المكتب ويجلس في مكانه السابق.

عبد الرحمن:

-هو طبعًا إني أشوف مكتبة على شكل وردة دا ملفت للانتباه ولايق على ديكور المكان جدًا.. خصوصًا إنه بسيط ورقيق.. بس اللي لفت انتباهي أكتر محتوى المكتبة مش المكتبة نفسها.

بابتسامةٍ قالت

ليزا:

-إيه الغريب فيها مش فاهمة؟

عبد الرحمن:

-قصدك إيه اللي مش غريب؟! يعني من مجموعة زهور لروايات إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي، ومن المغامرين الخمسة لأجاثا كريستي، أدب مصري وأدب روسي وروايات بلغات مختلفة، استحالة تفكر إنها مكتبة لشخص بفكر واحد أبدًا.

ليزا:

-واضح إني اتأخرت عليك لدرجة إنك درست المكتبة كويس، أنا آسفة مرة تانية.

عبد الرحمن:

-بالعكس إنتِ ما اتأخرتيش خالص، أنا بس اللي شغوف بالكتب.

بضحكةٍ خفيفة قالت

ليزا:

-عمومًا هرحم فضولك، دي المكتبة اللي جمعت فيها كل اللي قريته من وانا طفلة صغيرة، علشان كدا هتلاقي فيها حاجات مالهاش علاقة ببعض، يعني، على حسب اهتمامات كل مرحلة.

عبد الرحمن:

-بس برافو عليكِ إنك قريتي كل ده.

بضحكةٍ مسموعة قالت

ليزا:

-يعني مش كله قوي، فيه كتابين لسه ما قرأتهمش علشان لسه ما بقتش قد كدا في الإسباني.

بنظرة إعجاب:

عبد الرحمن:

-قليل أوي لما يبقى فيه حد بيقرا وبانتظام!

ليزا:

-دي عادة ورثتها عن أمي الله يرحمها.. ها بقى ما قلتليش أقدر أفيدك إزاي؟

***

وعند تلك اللحظة انتهى فيلم الذكريات معلنًا أن هذا اللقاء كان البداية لآخر صفعةٍ قد تلقتها، وعند تلك اللحظة تذكرت جملة أمها:

«اللي هيحبك بجد هيحبك زي ما انتِ».وأخذت تُكرر هذه الكلمة كثيرًا على مسمعيها، وبعد وقتٍ ليس بالكثير نهضت من سريرها وكأنها واحدة أخرى، تحركت باتجاه المرآة وأمسكت بأدوات المكياج محاولة تصليح ما فعله البكاء بها، ومن ثمَّ تحدثت إلى نفسها مستكملة ما بدأته قائلةً:

ليزا:

-عارف يعني إيه توصل لمرحلة إن صوت العصافير جنب شباك أوضتك بقى يوترك؟! يخليك عايز تخرج من الشباك مستغرب فتقول لهم: يعني كل الناس دي سابتني ومشيت وانتوا اللي فضلتوا؟

-ما بقيتش عارفة إيه بالضبط اللي مخوفني؟ يا ترى أنا خايفة أواجه نفسي بإني بقيت لوحدي من تاني؟

مكتبة العرب الحصرية على التليجرام @bookArb

-طب هو أنا إمتى ما كُنتش لوحدي؟

-معقول وجود «عبد الرحمن» الفترة اللي فاتت قدر ينسيني إني من يوم ما اتولدت وانا بطولي؟

-زرعة شيطاني اتولدت بحمل تقيل على الدنيا مع إن أي ريح صغيرة قادرة تقلعها من جذورها اللي مش معروف لها أصل!

-ما كنتش بتضايق لما يقولوا لي إني تربية ملاجئ، أصل دي الحقيقة اللي مهما عملت عمري ما هقدر أهرب منها، بس برده مش من حق أي حد يحاسبني على ذنب أنا ما عملتوش، واقع اتولدت لاقتني فيه، ويا إما أتكيف معاه يا إما أخاف منهم ومن نظراتهم وادفن نفسي بالحيا زي ما أنا عاملة كدا بالضبط.

-بس أنا مش واخدة على الكسرة، ولا واخدة على البحلقة في الحيطان والدموع الخايبة اللي مش هتفيد، مش واخدة على إن نظرتي دايمًا تبقى للأرض، أنا طموحي في السما، أنا عارفة إني هقوم من اللي أنا فيه ده، وهنفض عن دماغي وقلبي كل السواد اللي عشش عليهم الفترة اللي فات..

-ليزا ما ينفعش تتكسر، ليزا لازم ترجع تحط أكل ومايه للعصافير مش تخاف منهم.

(2)

أسوان

لسه الأماني مش ممكنة

- جسر الأماني – وقت الشروق

تتراقص حروف السلم الموسيقي وهي تنطلق عبر هاتفها، ترجوها لتترك ما يدور في عقلها وقلبها الآن، تترك الانتظار والتوهم والرغبة في مجيئه لتتناسى كل هذا، فربما يأتي ويمسك بيديها ويحركهما يمينيًا ويسارًا على صدرهِ كما اعتاد أن يفعل دائمًا أو يضع قبلة صغيرة على رقبتها ومن ثمَّ يلتقط أنفاسه وكأنه يقول: «اشتقت لرائحتك كثيرًا»، فتبتسم وتنسى الدموع التي ذرفتها، وكم القرارات التي قد اتخذتها وعزمت على تنفيذها قبل مجيئه.ولكن.. هذه المرة انتظرت أكثر من ثلاث ساعات في مكانهما المعتاد تستمع للموسيقى التي تُحبها كثيرًا دون أن تمر على أذنيها؛ فجميع حواسها قد تركتها هناك معه..

والآن، لا هو يأتي ولا هي تكف عن الانتظار، تنظر فقط إلى النيل من حينٍ لآخر لتشاركه دموعها مثلما تفعل دائمًا، لا تشعر بأي شيءٍ مما يدور حولها، ولم تشعر بأي شيءٍ حتى أحست برائحتِه تقترب، فابتسمت مع آخر دمعةٍ سقطت منها لتمتزج بمياه النيل.

زين:

-عمر إحساسك ما كدب عليكِ في تقدير الوقت اللي ببقى محتاج فعلًا أشوفك فيه.

غنوة:

-ويا ترى محتاجني في إيه بقى المرة دي؟

زين:

-أنا مفيش لحظة بتعدي عليا ما بكُونش محتاج لك فيها، بس فيه لحظات ببقى عارف إنها ما ينفعش تعدي من غيرك.

غنوة:

-المفروض بقى دلوقتي إني أتبسط واتنطط من الفرحة مش كده؟

زين:

-في إيه يا غنوة؟

غنوة:

-فيه إني زهقت، بزمتك إنت ما زهقتش؟! بس صحيح هتزهق من إيه؟!

-لالالأ صح فيه حاجات كتير حقك تزهق منها الحقيقة.. زي اهتمامي، مشاعري، كلامي أو يمكن وجودي، بيتهيأ لي كُتر الحاجات دي بيزهَق، بيمَوًّع النفس، بيبقى لازم حاجة تيجي في النص كدا تحدق بيها علشان مزاج الأستاذ ما يتعكرش، علشان يعرف يكتب، علشان يعرف يبدع، علشان يطلَّع أحسن ما عنده مش كدا ولا إيه؟!

زين:

-أنا مش فاهم حاجة، هتقولي لي في إيه بقى ولا أمشي لحد ما تهدي؟

غنوة:

-امشي، ما انت أسهل قرار بتاخده في حياتك إنك تمشي، أسهل حاجة على لسانك إنك تقول لي مش لاعب.

زين:

-غنوة.. ممكن أفهم في إيه؟

غنوة:

-ممكن أنا اللي أسألك إنت جاي منين دلوقتي؟

زين:

-كنت مع حنة بـ...

ثم أطلق ضحكة عالية وكأنه قد فهم أخيرًا سبب هجومي الغير مبرر عليه.

زين:

-بقى الحكاية كده؟

وضمني إلى صدره وأمسك بيدي ووضعها على صدرهِ قائلًا:

زين:

-مش ناوية تبطلي جنان؟

تشبثت بهِ أكثر متناسية سيل الكلمات التي ألقيت عليه به منذ قليل؛ فابتسم ووضع قبلة على رقبتي والتقط أنفاسه، ثم داعب إحدى خصلات شعري قائلًا:

زين:

-ومش ناوية تردي عليًا كمان من الواضح كده!

غنوة:

-من إمتى بتاخدني في حضنك وبعرف أغلبك في الكلام؟

زين:

-أنا المغلوب في وجودك دايمًا وراضي.

غنوة:

-الحضن دا مش هيكون لحد غيري مش كده؟

زين:

-تفتكري أنا هرضى أتغلب من حد غيرك؟

غنوة:

-دبلوماسي حتى وانا في حضنك!

زين:

-أنا دبلوماسي طول ما انتِ في حضني.

غنوة:

-علشان أنا عبيطة وبصدق.

زين:

-لأ علشان كل ما الحوار يطول، كل ما هتفضلي هنا، في الحتة دي بالضبط، في المكان الوحيد اللي مش من حق أي حد غيرك.

ابتسمتْ قائلة:

غنوة:

-كانت بتعمل إيه معاك طول اليوم؟

ابتسم قائلًا:

زين:

-وما جتيش سألتي ليه؟

غنوة:

-تحت أي مسمى؟ واحدة من فريق الكتابة بتاعك ولا حبيبتك؟

زين:

-تحت مسمى إنك أكتر حد يهمني ما يبقاش متضايق ولا يبقى فاهم أي حاجة غلط.

غنوة:

-أفهم إيه غلط أكتر من إنها خطيبتك؟

زين:

-ما دا الغلط نفسه.

غنوة:

-تاني بقى هتقول لي الظروف!

زين:

-لأ مش هقول تاني يا غنوة علشان إنتِ عارفة كويس أنا جبتك هنا ليه؟

غنوة:

-علشان تعذبني بوجودها.

زين:

-لأ علشان أأكد لك إنها مش موجودة.

غنوة:

-تأكيدك مش هيلغي قدام كل الناس إن من حقها كل اللي مش من حقي.

زين:

-طظ في الناس المهم إنتِ؟

ابتعدت عنه مهاجمة:

غنوة:

-لو كان طظ فيهم زي ما بتقول ما كُنتش عملت كدا فيا وفيك وفيها!

زين:

-ما كُنتش هستحمل فكرة إنك تبعدي عني.

غنوة:

-وعلشان عارف إني مش هستحمل دخلتني أنا كمان معاك في نفس اللعبة، بس إنت عارف أنا حاسة بإيه؟ شايفة نفسي إزاي؟!

ضمني إليه مرة أخرى قائلًا:

زين:

-كل دا هيخلص صدقيني.

غنوة:

-خايفة يخلص بفستان أبيض على مقاس واحدة غيري!

زين:

-لو هعيش عمري كله من غير عيل يشيل اسمي، مش هجيب للدنيا عيل يعيط في حضن واحدة غيرك صدقيني.

غنوة:

-أنا عايزة أرجع القاهرة.

زين:

-لو رجعتِ هتتعبي.

غنوة:

-وانا هنا مرتاحة؟!

زين:

-هنا بتلاقي تفسير لكل أسئلتك، هناك مش هتلاقي غير صوت عقلك اللي أنا عارف وانتِ عارفة إنه مش هياخدنا لحتة إحنا الاتنين عايزينها.

غنوة:

-أنا تعبت.

زين:

-وانا هعيش عمري كله مقدر تعبك ده.

***

في كل اللي بيقوله دايمًا بدور على جملة واحدة أصبر نفسي بيها: «أنا جنبك».الجملة الوحيدة اللي قادرة تصبرني على البهدلة والغربة والعلاقة الغير معلنة اللي اخترت إني أعيشها وبإرداتي.بحبه.. دايمًا دا بيكون ردي على أي سخافات برضاها لقلبي، ساعات بكره الكلمة دي وبحس إنها بتؤذيني، بحس إنها بتاكل من أنوثتي علشان دايمًا بقولها بصوت واطي، بخاف حد يسمعني، دايمًا لازم أراعي الوقت المناسب والناس المناسبة اللي المفروض أكون قدامهم على طبيعتي من غير ما اهرب بعيني، أو أهز دماغي أو أدور على أي بطلة لحدوتة مزيفة أقول على لسانها كل اللي نفسي أقوله؛ علشان ما اموتش في يوم ناقصة كلمة أو إحساس جوايا ما طلعش.لازم قبل ما أنام ألاقي قدامي شخصين بيتعاركوا قصاد بعض، ومن الخوف مش ببقى عارفة حتى آخد صف واحد فيهم، واحد اسمه قلبي والتاني بيقول إنه عقلي، واحد راضي بكل اللي بيحصل لي وشايف إن مكاني هنا جنبه تحت أي شكل وبأي مسمى، وواحد رافض يشوف أو حتى يسمع إني رضيت لنفسي بكل ده، لا دي طبيعتي ولا دا مكاني، أنا مكاني في النور، بلساني الحر اللي لا بيزوق الكلام ولا بيفلتر المشاعر ولا بيقول غير اللي بيحس إنه عايز يقوله.

واحد شايف إني لو سبته هعيش عمري كله ناقصة حضن، الحضن البعيد الهادي زي ما دايمًا بقول له، هعيش عمري كله ناقصة أمان وحنية ودفا ما بلاقيهومش غير جواه..

هعيش عمري خايفة، خايفة ما ألاقيش حد أحبه ربع ما حبيته، أو ما ألاقيش حد أحبه أصلًا!

وواحد بيقول لي اللي زرع الحب دا كله في قلبك له، قادر يرمي قده ألف مرة لو اخترتِ غيره.

بس هو في دنيتي حد غيره؟؟

الحيرة دايمًا سيدة الموقف، والخوف ملازم تفكيري وقاعد يسحلني في ألف سؤال، أولهم:

-هتعملي إيه من بعده أو من بعد حضنه؟

فكل اللي بعمله إني باجي هنا عند جسر الأماني، المكان اللي اخترته أنا وهو علشان نرمي في حضن النيل دعواتنا واستناه.. وانا متأكدة إنه جاي!

(3)

القاهرة

كلاكيت أصعب مرة

«هو إنتِ ساكنة فين؟».

مشوار من التجمع للشيخ زايد كان كفيل يدمر حياتي لحد اللحظة دي.

- ليليز – التاسعة صباحًا

قد مرت عدة أشهر على لقاءنا الأخير، كنتُ قد اعتدت، أو كنت أظن أنني اعتدت، ولكن القدر أراد أن يختبرني مرة أخرى، أو على الأرجح أراد أن يُريني حقيقة الأمر؛

ربما حينها أُصبح واحدةً أخرى غير تلك التي أرتدي قناعها طوال الوقت.

لستُ بخير، أعلم أنني لست بخير، أنا فقط مدعية وكاذبة، أكذب حتى على نفسي، فما زلت غير قادرة على تخطيه أو تخطي أي شيءٍ قد تشاركناه معًا.

والآن أجلس في مكاني كالطفلةِ التي تخشى الذهاب للمدرسة في يومها الأول، أخشى رؤيته، أخشى السكوت الذي سنتبادله، أخشى حتى أن نتشارك أكسجين مكانٍ واحد.

لا أعلم ما الذنب الذي اقترفته حقًا لتصبح حياتي هكذا؟!

في تلك اللحظة هاجمني صوت ما بداخلي قائلًا:

«لأ إنتِ عارفة دا ذنب مين كويس يا فيروز».

***

- أوبر – الطريق للتصوير/ الحادية عشر صباحًا

كنتُ أظن أن قربي من «علي» سيجعلني أُكفر عن ذنبي هذا، كنتُ أظن أن كثرة الآلام بإمكانها أن تمحوه من قلبي وذاكرتي أيضًا، كنتُ أظن أن بإمكان الجاني أن يصبح مجنيًا عليه إذا قرر إصلاح حياة أحدٍ غيره وانتشاله من الإثم الذي يرتكبه في حق نفسه، ولكن للمرةِ التي لا أعلم كم اكتشف أنني أنظر إلى الشيء من الاتجاه الخاطئ، ويصل بي الأمر في النهاية إلى أن كل ما يحدث لي ما هو إلا تكفيرًا عن ذنبي الأكبر.

- عودة إلى الماضي:

نرى فيروز بزي المدرسة في الخامسة عشر من عمرها في أحد شوارع مدينة نصر عائدة إلى المنزل، لتصادف أحد أقاربها بالشارع المجاور لمنزلها.

ندى:

-فيروز إزيك يا حبيبتي عاملة إيه؟

فيروز:

-أنا بخير حضرتك عاملة إيه؟

ندى:

-الحمد لله يا حبيبتي، بابا عامل إيه دلوقتي؟

في أي تحسن؟

فيروز:

-بابا! هو بابا ماله؟

تصمت ندى ويبدو عليها الارتباك الشديد، ومن ثم تصرخ فيروز قائلةً:

-ردي عليا، بابا ماله؟

***

إلى جوارها الكمانجا وفي المكان المفضل لها في المنزل بعيدًا عن الكل بأحد أركان الشرفة، استستلمت للبكاءِ وبيدها صورة لأبيها بالزي العسكري..

وبعد دقائق انضمت إليها أمها بشيءٍ من الحزن الذي حاولت بقدر الإمكان إزاحته عن نبرة صوتها.

أمل:

-برده مش عايزة تاكلي أي حاجة؟

لم يصلها جواب.

أمل:

-ما تقلقيش عليه، حالته بتتحسن، بس أكيد مش هيكون مبسوط لو فاق وشافك كده.

فيروز:

-إنتوا إزاي تخبوا عليا حاجة زي دي؟ إزاي أبقى كل يوم بسأل عليه وانتوا مستسهلين تكدبوا عليا كدا عادي؟!

أمل:

-علشان كلنا عارفين إنتِ متعلقة بيه قد إيه، خفت عليكِ.

فيروز:

-وأنا المفروض أصدق دلوقتي إنه تمام وهيفوق! دي جلطة في المخ يا ماما، جلطة في المخ!

***

إلى جوار بعض الصور التي التقطتها كانت تجلس شاردةً وإلى جوارها الطعام كما هو لم تمسسه يدها، حتى دخلت أمها عليها بلهجةٍ تكشف عن أنباءٍ جيدة.

أمل:

-فيروز بابا فاق.

فيروز:

-احلفي! بتتكلمي بجد؟ إنتِ ما بتكدبيش عليَّا المرة دي مش كده؟

أمل:

-والله فاق وتقدري تيجي معايا تشوفيه كمان، هو كمان هيتجنن ويشوفك.

***

أمام غرفة هاشم، تتحدث أمل مع الطبيب وإلى جوارها فيروز.

الطبيب:

-زي ما قلت لحضرتك، للأسف مش هيقدر يمشي على رجليه لفترة!

أمل:

-أيوه فترة قد إيه؟ أسبوع، شهر، سنة، قد إيه؟

الطبيب:

-دي حاجة ما اقدرش أحددها، دا هيفرق في استجابته للعلاج الطبيعي ونفسيته طبعًا.

صدمة شديدة على وجه كل منهما.

***

بشكلٍ أشبه باجتماعٍ أُسري صغير مكون من أمل وفيروز وشقيقها الأصغر أحمد جلس الثلاثة يتحدثون.

فيروز:

-أيوه يعني إيه اتنين أغراب هيعيشوا معانا في بيت واحد؟

أمل:

-الظروف تحكم، باباكِ زي ما انتِ عارفة إصابته كانت إصابة عمل، وبالتالي كل حاجة هتفضل ماشية زي ما هي، واحنا فعلًا محتاجين الاتنين العساكر دول، إنتوا الاتنين لسه صغيرين ولازم حد يساعده في دخول الحمام والخروج من البيت، وكل دا.... إنتوا أصغر من إنكم تشيلوا مسئولية زي دي، وانا مش هعرف أشيلها لوحدي بحكم ظروف شغلي اللي إنتوا عارفينها.

***

من منتصف حوارٍ يشتد بين فيروز وأمل.

فيروز:

-أنا حقيقي مش قادرة أستحمل الوضع ده، طول الوقت عصبي، طول الوقت بيزعق، أنا مش لاقية فيه أي حاجة من اللي كنت بشوفها فيه زمان، دا غير الاتنين اللي قاعدين فوق دماغنا وبيشاركونا النَفس اللي بنتنفسه، ماما أنا مش في معسكر حربي، أنا في بيتي من حقي أصحى وأنام واعمل اللي أنا عايزاه براحتي، أنا لا عارفة أركز في مذاكرتي ولا في حياتي، أنا زهقت.

في تلك اللحظة يدخل هاشم ويبدو أنه سمع كل شيء.

هاشم:

-فيروز عندها حق يا أمل، إنتوا من حقكم تعيشوا حياتكم زي ما كنتوا بالضبط

وكأن مفيش أي حاجة اتغيرت، علشان كدا أنا من بكرة هسافر راس سدر

واستقر في شقتنا هناك لحد ما اتحسن، أنا كدا كدا واخد القرار، بس كنت مأجل تنفيذه شوية مش أكتر، المهم فيروز تبقى مرتاحة وتعرف تركز في مذاكرتها.

***

بأحد أركان المنزل يفصل فيروز عن قراءة كتابٍ ما اتصال هاتفي من أمها.

أمل:

-بيتهيأ لي هتعرفي لوحدك أنا مكلماكِ ليه؟

فيروز:

-خلصتِ في الشقة مش كده؟

أمل:

-وعقدها في جيبي.

فيروز:

-بجنينة؟

أمل:

-وبدروم علشان يقعدوا فيه خيري وكرم العساكر.

فيروز:

-وبلكونة كبيرة أقعد فيها أنا وبابا؟

أمل:

-كل اللي إنتِ عايزاه حصل يا حبيبتي..

-عايزة أكلم بابا بس أفرحه.

فيروز:

-لأ أنا اللي هكلمه، ولا أقول لك كلميه إنتِ هو أكيد زعلان مني.

أمل:

-مش زعلان منك ولا حاجة بس أنا اللي هكلمه

علشان أفرحه إن سنين عمري أنا وهو في الخدمة ما راحتش هدر، وعرفنا ناخد شقة في المكان دا وبالسعر دا وبجنينة كمان زي ما بتتمنى الست فيروز، يلَّا سلام يا روحي هكلمه وارجع أكلمك.

***

- عودة إلى الحاضر:

سواق أوبر:

-هو دا العنوان يا افندم؟

ما زالت شاردة.

سواق أوبر:

-هو دا يا افندم؟

وكأنها أتت بعقلها من سفرٍ بعيد، وبشيءٍ من الارتباك ناظرة إلى ما حولها لتجد معدات التصوير والكرفانات لتدرك أنها وصلت.

فيروز:

-أيوه هو دا العنوان، ميرسي أوي، الحساب اسحبه من كرديت أوبر بتاعي أنا سايبه فيه فلوس.

***

اليوم دا كان عامل زي ما يكون اختبار تجريبي في الكيميا الحيوية لطفل عنده ٣ سنين، كنت جاية وانا عارفة إني هفشل في تنفيذ كل قرار أخدته وقاوحت أكمل فيه الفترة اللي فاتت، هو الحقيقية إني من يوم ما عرفت بالتحديد إن مدير التصوير الجديد هيكون فخر وانا عارفة إن دا هيحصل، علشان عارفة إن فخر ما بيشتغلش من غير «علي»، وعلي كفاية أوي إني أشوفه علشان أرجع ألف خطوة لورا.

من امبارح وانا قاعدة بجهز نفسي هلبس إيه؟ وهتعامل إزاي؟ ولو حاول يكلمني هعمل إيه؟ إزاي هداري إنه واحشني؟ وازاي في نفس الوقت هداري إني مش طيقاه ولا طايقة أسمع حتى صوته؟ يمكن الحاجة الوحيدة اللي ما توقعتهاش هي ماسورة الذكريات اللي اتفتحت في دماغي طول قعدتي في

ليليز وطول الطريق..

زي ما أكون كنت ناقصة ضعف على ضعفي علشان كدا سحلت دماغي في كل ده، حاولت أبعد بقدر الإمكان عن مكان التصوير نفسه علشان ما اتكعبلش فيه، بس كنت عارفة كدا كدا إن هيحصل، وبالفعل دا اللي حصل، بعد ٣ ساعات من السحلة ما بين عربية الملابس، وأوضة الممثل فلان، وكرفان الممثل علان لاقيت المخرج طالبني فوق، وجه وقت اللقاء اللي كنت من أول اليوم بهرب منه.

طلعت بخفة وروح فيروز اللي الكل عارفينها، أو على الأقل حاولت قد ما حاولت إني أبعد عيني عنه على قد ما اقدر، بس للأسف فشلت، الغريب إني كنت بتوجع في كل لحظة ببص له فيها وهو ولا هنا، ولا كأني في المكان! وقادرين نتعامل زي الأغراب، ساعتها بس كان نفسي أبص في عينيه واسأله:

-هو انت مش موجوع زيي ليه؟!

مكتبة العرب الحصرية على التليجرام @bookArb

(4)

المنصورة

كل دا كان ليه؟

- مسرح كلية الهندسة – التاسعة صباحًا

كالذي وقف في منتصف الطريق يتساءل إن كان عائدًا أم ذاهبًا، رأسي يكاد ينفجر من كثرة ما بداخله من متاهات، صدري ممتلئ بالألم حتى عنقه، أما عيناي فقد جفت دموعهما منذ زمن.

قد أتى الوقت الذي أرغب فيه بـ «العادي» الذي لطالما تمنيت ألا يستمر طويلًا.الآن أشتاق لنفسي السابقة، أن أستيقظ في أول اليوم غير راغبةٍ في أي شيءٍ سوى ساعة نومٍ إضافية قبل انطلاقي للجامعة، ألا أتصادف بإحدى الثرثارات من دفعتي، أو أخريات من هؤلاء المتنمرات على الجميع وإن لزم الأمر أنفسهن.

كوب من النسكافيه دون ملعقة سكرٍ إضافية تجويدًا من عامل الكافيتريا، أو ساندوتش البطاطس بالجبن الذي كنت أتناوله بين محاضرةٍ وأخرى لعلني أفهم شيئًا متأملة أن يكون الجوع هو السبب فقط.ضحكاتي مع صديقاتي خلسة على ذاك الدكتور الذي لا يفعل شيئًا سوى الحديث عن إنجازاته التي بإمكانها أن تصبح الثامنة لعجائب الدنيا السبع..

تلك الورقة التي كانت بمثابة البوسطة السرية، والتي لولاها لما استطعنا مراقبة نظرات أحد الزملاء لصديقتي والإيقاع به في عش العشاق الذي لم يستمر طويلًا.حقًا أشتاق لكل شيء.. كل شيءٍ عدا بكائي على ذلك المسرح الذي أخبرته بالكثير عنه وشهد أولى سقطات قلبي وربما أكبرها.

***

فجأة شعرتُ برغبةٍ عارمة في الصراخ، صراخ وكأنني أستنجد بشخصٍ لا أعلم من سيكون ليأتي وينهي كل هذا العبث.

انفجرتُ في البكاءِ أكثر وصرختُ لدرجة أنني شعرت أن آخر أحبالي الصوتية قد انقطع الآن.. لأجد أمامي الشخص الوحيد الذي لم أتمنَ أبدًا أن يراني هكذا.

بشيءٍ أقرب إلى تقديم رجلٍ وتأخير الأخرى قال:

مالك:

-دا كان صوتك؟!

ملاذ:

-بتمرن على مونولوج جديد وشكلي اندمجت.

لحظات صمت.

مالك:

-إنتِ كويسة؟

ملاذ:

-بتسأل السؤال دا كتير أوي، إيه مستكتر عليًّا إني أكون كويسة؟ ولّا كان نفسك أقضي بقية حياتي بندم على الكام سنة اللي ضاعوا معاك؟

مالك:

-بالعكس أنا...

ملاذ:

-ما يهمنيش أسمع أي كلمة هتقولها.

مالك:

-إنتِ ليه مش عايزة تسمعيني؟

ملاذ:

-علشان زمن الحكايات راح خلاص، دلوقتي بقينا في زمن الحقايق، والحقيقة أنا سمعتها منك مش من حد تاني.

مالك:

-كنتِ بتقولي لي إن عمرك ما هتبعدي مهما حصل، أنا ما بطلبش منك تصدقي إن كان غصب عني، أنا بس نفسي تسمعي.

ملاذ:

-مش عارفة، ومش قادرة ومش عايزة أسمع منك أي حاجة.

مالك:

-ملاذ أنا ضايع من غيرك.

ملاذ:

-وأنا هضيع لو فضلت معاك، إنت اللي زيك ما يعرفش يحافظ حتى على

نفسه.

مالك:

-اديني فرصة أشرح لك.

ملاذ:

-فرصك عندي كلها إنت خلصتها في غلطة واحدة.

مالك:

-طب بلاش تخسري كل حاجة.

ملاذ:

-كل حاجة دي اللي هي «إنت» يعني؟ لا تبقى فاهم غلط!

مالك:

-مش قصدي أنا، قصدي دراستك، أنا عرفت إنك قدمتِ اعتذار عن السنة دي، أنا شايف إنك...

ملاذ:

-ما بقاش.. ما بقاش من حقك تشوف ولا أنا بقيت مجبرة أشوف بعنيك، أقول لك أنا ما بقيتش مجبرة دلوقتي إني أشوفك إنت شخصيًا.

وتركتُه وانصرفت، ربما كنتُ بحاجةٍ حينها لأحدٍ يصفعني على وجهي ويخبرني أنني حقًّا اجتزت أول لقاءٍ بيننا بعد فراق، واستطعتُ أن أصبح بهذه القوة التي لم تكن بداخلي على الإطلاق.

كنتُ أظن أنني سأخبره بمسامحتي له منذ اللحظةِ التي أخطأ بها في حقي وحق نفسه وحق أخرى انتظرت منه فقط شهادة حق.

لم أظنه يومًا بهذا الضعف والاستسلام، لم أظنه ولم أتقبله ولم أستطع حتى أخذه بين ذراعيّ مثلما كنت أفعل دائمًا، فهذا لم يكن مجرد خطأ، إنه إثم، إثم سيظل يُكفر عنه طوال حياته إن استطاع.

***

وأنا في ثانوي لما كانوا يسألوني: نفسك تحبي راجل عامل إزاي؟ كنت أقول لهم: عامل زي رشدي أباظة.

مش بس علشان چان ووسيم ويخطف قلب أي واحدة، بس علشان كنت دايمًا بشوفه المثال الحي للراجل اللي بجد، حتى وهو بيعمل دور حرامي كان برده صالب طوله كدا وعنده مبادئ، صحيح كانت غلط بس كان طول الوقت ماشي عليها، لا بيحيد يمين ولا شمال، حتى لما كبرت شوية وعرفت إن مش شرط اللي بشوفه على الشاشة يكون زي الحقيقة؛ بشوية قراية مش كتير عنه اكتشفت إنه كان دنجوان كبير وعلاقاته ما تتعدش، بس قلت لنفسي ساعتها إن حتى في دي كان واضح.. واكتشفت إني بدور في الراجل اللي هرتبط بيه على حاجتين مالهمش تالت، إنه يكون واضح وصريح وعنده مبدأ مستحيل يتنازل عنه مهما حصل.

اكتشفت إن مقاييس اختياري لشريك حياتي مختلفة عن كل اللي حواليا، ما اقدرش أجزم أنا اللي كنت صح ولا هما، بس أنا كنت واثقة أنا عايزة إيه كويس، وعلشان اللي بنعوزه مش دايمًا هو اللي القلب بيختاره حبيت «مالك»، ليه وازاي؟ مش عارفة.

كنت فاهمة في البداية إن أنا جنبه علشان هو اللي محتاج لي، حياته ملخبطة وكل حاجة مش في مكانها، بس مع الوقت اكتشفت إن أنا اللي محتاجة له، أنا ما كنتش محتاجة شخص كامل، أنا كنت محتاجة شخص أكمل أنا وهو ببعض، بشوية تعب..

بس اللي ما كنتش عارفاه إن التعب دا كله ممكن يترمي في لحظة، لحظة البني آدم بينسى فيها مبادئه وقناعاته وينسى قبل كل دا إن فيه ربنا شاهد عليه، ساعتها لو كملنا ما نبقاش بنكمل بعض، إحنا بناخد من بعض وقت ومجهود وطاقة، وانا استحملت لحد ما خلص رصيده في كل دول عندي.. وآن الأوان إني أقول شكرًا مش هقدر آمن لك تاني.

(5)

أسوان

حبيب عينيا

-طب طالما إنتِ حلوة كدا ودمك خفيف أبويا طلقك ليه؟

- ما طلقنيش أنا اللي طلقته!

- بعقوبة - العراق ١٩٨٠

في بعض الأيام تستيقظ من النوم وأنت لا تدري أن هناك شيئًا سيحدث ويقلب حياتك رأسًا على عقب، في بداية الأمر لا تعلم حتى وبعد حدوثه إن كان هذا الشيء سيقلبها للأفضل أم للأسوأ، ولكنك تجد نفسك تنجرف مع التيار ولا ترغب في الاستسلام والعودة من ذلك الطريق مطلقًا، إنه طريق المشاعر الذي دائمًا ينتصر.

***

كانت ليلة شتوية شديدة البرودة، وأول يومٍ لي في العراق مع أسرتي التي كانت قد سبقتني منذ عدة أيام، لم أكن سعيدة بانتقالي إلى هناك، كنت أعلم أنني لن أكون على أتم راحتي؛ حيث وبسبب ضيق الوقت لم يتمكن أخي من العثور على منزلٍ مناسب من أجلنا؛ فاضطررنا إلى مشاركته المنزل الذي كان يقطن فيه مع شريكه في مصنع الحلوى التابع لهما، وما جعل الأمر أكثر تقبلًا بالنسبةِ لنا أنه كان قد تحدث أكثر من مرة مع أخي أنه بحاجةٍ إلى إكمال نصف دينه والزواج من فتاةٍ ذات أصلٍ صالح، وبشيءٍ من الدعابة ذات مرة قال له: «حبذا لو اكتملت شراكتنا بأن نصبح نسائب أيضًا»؛ فاستنتجت أمي أن هذه الفتاة بالطبع ستكون نجوى أختي؛ حيث اصطحبتها لأكثر من مرة في زيارتها لأخي خلال الأعوام السابقة.

مر نصف اليوم ولم أتمكن حتى هذه اللحظة من رؤية زوج أختي المنتظر، حتى جاء منتصف الليل ووصل أخي وبصحبته رجلين، لم أكن مطلقًا بالجرأة التي تجعلني أسأل أخي عن أحدهما قائلة بفضولٍ واضح: «مين ده؟»، الأمر الذي نال قسطًا كبيرًا من اندهاش أخي، ولكن ولكي يريح رأسه من التفكير عن سبب سؤالي أخبرني أنه شريكه، الإجابة التي لم أكن أود حقًّا سماعها.

لا أعلم ما الشيء الذي سرقه هذا الشخص من داخلي بنظرةٍ واحدة، ربما جذبتني وسامته وربما شيء آخر.

ولكن سرعان ما أخمدت عقلي عن التفكير، كم أنا حمقاء! فقد مررت بعامي العشرين دون أن يلفت انتباهي أي شخصٍ سوى الرجل الذي أراد الزواج بشقيقتي.. يا لسوء حظي!

وفي تلك الأثناء وبينما أحاول إلهاء نفسي جاء صوت من داخلي يستنكر إخمادي لحدسي وألقى بداخلي قنبلةً أخرى؛ وهي أنني سأصبح بطلةً لقصةٍ

ستُكتب لي مع ذلك الرجل، أين ومتى؟ لا أعلم ولكن سيحدث .

الأهم من ذلك أنني لم أفكر حينها أن الشيء الذي سُرق مني في لقاءنا الأول هذا ربما يكون قلبي!

***

في صباح اليوم التالي استيقظتُ متأخرة كعادتي ولم أجد أحدًا بالمنزل، يبدو أن أمي وشقيقتي قد ذهبتا للتسوق بعد أن اتجه أخي وصديقه للعمل، أعددتُ فطارًا لطيفًا، وبعد أن أنهيت طعامي اتجهتُ لتنظيف المنزل، وبالفعل بعد ساعتين أنهيته هو أيضًا ولم يتبقَ سوى غرفةٍ واحدة، غرفته هو.

لم أُفكر كثيرًا واتجهتُ إلى هناك، وفور دخولي صُدمت، لا يبدو أنها غرفة شابٍ مطلقًا؛ فهي منظمة أكثر من اللازم.

لم أجد أي شيءٍ بإمكاني أن أفعله؛ فأضفتُ بعض اللمسات الأنثوية التي تعطي لأي شيءٍ جمالًا مختلفًا وانصرفت.وبعد عدة ساعات عاد أخي ومعه الصديق إلى المنزل، وأخبرني أن أمي وشقيقتي لن يعودا باكرًا؛ فقد اصطحبتهما والدة إحدى أصدقائه للتسوق وتناول الغداء والسمر.

حينها كنتُ قد أعددت طعام الغداء، فوضعته على المائدة وجلس ثلاثتنا لتناوله، وهنا وبعد أن نظر لي نظرةً لم أفهم ما الذي قصده بها سمعت صوته لأول مرةٍ بشكلٍ واضح.

سليم:

-حلو أوي الأكل، تسلم إيدك.

بصوتٍ متقطع ممتلئ بالتوتر والاضطراب قلت:

-بالهنا والشفا.

سليم:

-ومتشكر كمان على تعبك في تنضيف الشقة والأوضة.

رؤى:

-هي كان فيها حاجة! دا أنا فكرت أبهدلها وأنضفها من تاني علشان أحس إني عملت حاجة.

ابتسم هو فابتسم قلبي أيضًا، ومن هنا قررت نقل الحديث لأخي لعلني أنجو من الشعاع الذي ينبعث من عينيه فيربكني لدرجةٍ تجعلني أتمنى أن أتحرك نحوه الآن وأُقبِّلهُ، لا أعلم حقًّا ما الذي فعله بي هذا الرجل منذ اللحظةِ الأولى؟

رؤى:

-بالراحة يا عادل يا حبيبي الأكل مش هيطيرا!

عادل:

-كان واحشني نَفَسك في الأكل يا رؤى والله، حاجة كدا معمولة بمزاج، بيفكرني بأكل أمك لما بتبقى رايقة.

رؤى:

-ربنا يديها الصحة يا رب!

عادل:

-اللهم آمين.

سليم:

-آمين يا رب.

وبدأ الاثنان في التحدث عن العمل والمشاكل التي تواجههما من قبل بعض العملاء، كنت أستمع حتى للنفس الذي كان يأخذه بين كلمةٍ وأخرى باهتمام، كان حديثه منمقًا ومحسوبًا، لا تخرج كلمة من فمه دون معنى، يصمت كثيرًا ومن ثمَّ يأتي بجملة واحدة تُلخص كل شيء، يتحدث بعينيه دائمًا، وهذا أكثر ما يجذبني على وجه الأرض.

***

فور انتهائنا من الطعام، انطلقت لإعداد الشاي وذهبا هما لغرفة الجلوس لاستكمال الحديث، لكن ذهني ما زال عالقًا عند نبرة صوته التي خاطبني بها، لا أعلم حقًّا ما الذي يحدث بداخلي الآن؟ هناك ضوضاء غريبة وشعاع نورٍ أراه يقترب من بعيد، وهناك خوف أيضًا أحاول جاهدة تجاهل سببه حتى لا يذهب عني ذلك الشعور الذي لم أعِشه من قبل.

أزاح كل شيءٍ عن عقلي إعلان الشاي غليانه؛ فأخذته واتجهت إليهما، وهنا

سمعت الجملة التي ألزمتني مكاني.

-سليم:

-أنا عايز أطلب إيد الآنسة رؤى.

***

-دايمًا كان عندي إحساس إني هقابل شخص ما في مكان ما وهتبتدي ما بينا حكاية بشكل غريب أبقى مستمتعة وأنا بحكيها لأولادنا، دايمًا كنت مصدقة إني هحس بيه من أول لحظة هشوفه فيها وهتمنى ساعتها إني أشوفه قدامي بقية حياتي، هحب صوته وريحته وتنهيدته وهستنى منه كل اللي ما كُنتش بستناه من حد قبله، هيحرك حاجة فيا أنا مش عارفاها، هيبرجلني ويلخبطني ويخليني حتى مش فاهمة حالتي لدرجة إني عمري ما هفكر إنه هو ده، هو دا اللي كنت بستناه.

دايمًا كان جوايا حاجة بتقول لي الحدوتة اللي هتعشيها هينفع تتعمل فيلم أو مسلسل، عمري ما استنيت أحب علشان أكون سعيدة ومبسوطة زي كلام الأغاني اللي عمري ما كنت بصدقه، طول عمري بتمنى أحب علشان أحس بكل حاجة ما كنتش عارفة قيمتها قبل مشاعري ما تتحرك وقبل ما قلبي يدق، المزيكا الحلوة اللي كنت من غبائي بجرِّيها لحد ما أوصل للكلام، مع إنها أغنى وأوفى وأدفى، الحضن اللي في نهاية كل فيلم عربي بشوفه، وأقول يا دي النهاية المعتادة! مع إن مفيش نهاية أسعد من حضن الحبيب والدفا اللي فيه، المطر لما يطول مع إن ممكن بفنجان قهوة وصوت الست تبقى ليلة شتوية مالهاش زي وانا مستنية اللي غايب.

حتى في دموع الغياب شيء مختلف ما يحسوش غير العاشق.. ودا اللي أنا كنت عايزاه، كنت بتمنى أحب فأحس، ما كُنتش أعرف إن هيجي عليا اليوم اللي أقول فيه يا ريتني ما اتمنيت!

(6)

هُدنة

هل شعرتِ مسبقًا أنكِ في حاجةٍ ماسة للبكاء من داخلكِ لا من عينيكِ؟ أن تجلسي في منتصف الطريق وتسألي المارة: «هل بإمكاني أن أنهار الآن أم قد فات أوان ذلك؟»، أن تتجاهلي الأسئلة التي تصبح عقب طرحها وكأنكِ في آلة زمنٍ تأخذكِ بين الماضي والحاضر ولا تملكين حتى حق التدخل في اختيار المحطة الأخيرة؟

برغبةٍ في وضع يدكِ على فم الحقيقة لكي لا تناديكِ؟ وكأنكِ تتلذذين باختيارِكِ الخاطئ لمجرد التخلص من حيرة الوقوع بين قلبك وعقلك..

بالهروب من كل شيءٍ حتى وإن كان فيه خلاصك؟

بالهروب إلى الشيء الذي من الممكن أن يؤدي إلى انهيارِك؟

بالتعمق في الحب، وبالتشبث بألمه خوفاً من الفراق أو في محاولةٍ لعدم الاعتراف بِهِ؟!

كل من هؤلاء عانت من سوء الاختيار، أو ربما سوء تقدير الوقت الأنسب للانسحاب، كل منهن رفضت الاعتراف بخطئها واستكملت طريقها حتى وصلت إلى المرحلةِ التي يستصعب فيها القلب فعل أي شيءٍ سوى الاستستلام أو الهروب ومحاولة التظاهر بعدم التأثر.

فهناك من اختارت ترك نفسها لشماعة الظروف والوحدة التي ظنت أنها قد تخلصت منها بلقائِهِ؛ فقررت العودة إليها مرة أخرى ربما تصبح طريقًا لعودتهِ هو أيضًا ومن ثمَّ أفاقت.

وهناك من اختارت أن تُكمل ما بدأته خوفًا من الندم على تركهِ يومًا ما، الخوف من فقدان الأمان الذي لم تشعر به قبل العلاقة أو بعدها.

والأخرى التي اختارت الهروب إلى الماضي والبحث في عقدة الذنب السابقة؛ لعلها تكون أخف ألمًا من الاعتراف بأن الخطأ الحالي كان منذ البداية في سوء الاختيار.وأخرى اختارت أن تُكمل ما بدأته خوفًا من الندم على تركِهِ يومًا ما، الخوف من فقدان الأمان الذي لم تشعر به قبل العلاقة أو بعدها.

وتلك التي تظاهرت بأنها قد انتزعت قلبها وألقته بعيدًا، وفي الحقيقة أن أجزاءه تتفتت الآن باحثة عنه.والأخيرة التي ظنت أن الخوف في الحب هو الأمان الحقيقي

حتى تيقنت في نهاية الرحلة

أن الأمان الحقيقي من الصعب أن يكون رجلًا، الأمان الحقيقي بداخلك أنتِ،

أنتِ فقط.

***

لعبة الحب إن لم تكن بين طرفين متعادلين، بإمكانك أن تُطلق عليها اسمًا آخر: «لعبة الموت بالبطيء».

ستجد دائمًا طرفًا يعطي وطرفًا يأخذ فقط؛ طرفًا يحزن وطرفًا يُحزِن..

طرفًا يُضحي وطرفًا ينتصر دائمًا بتقمص دور الضحية..

طرفًا يبكي بمفرده وطرفًا يصطنع البكاء حتى يُبكي جميع من حوله مستغلًا الموقف لصالحه.

أرى دائمًا خلف أغلب الرجال ذلك الطفل الذي يتلذذ بالبكاءِ أمام عائلته ومن ثمَّ يبتسم خلسةً لأنهم أوشكوا على تصديقهِ مستسلمين لجميع مطالبه، أرى ذلك في رجلٍ استغل موقفه المادي أو ربما موقفه من التجنيد، أو أي موقفٍ يأتي على خاطره حينها، المهم في النهاية سيعقبه جملة: «ستجدين من الرجال من هو أفضل مني».

بالطبع سأجد لأنك لم تكن يومًا منهم!

أراه في رجلٍ عشَّم إحداهن بحمل اسمه ومع الوقت أخبرها بأن أمه قد وجدت أخرى أحق بتولي تلك المهمة العظيمة بدلًا عنها، لا أعلم لمَ كل هذا؟ كان بإمكانك أن تخبرها أن اسمك كان أخف من أن يُحمل؛ فاخترت أخرى أضعف، فأغلب الرجال يقعون في غرام الأنثى القوية، ولكن حينما يصل الأمر للزواج فعليك بـ «أمينة».

أراه في رجلٍ يجد في أنثاه الملجأ من الهموم، والمهرب من كل شيءٍ سيء، ولكن لا يقدر على تحملها لساعةٍ واحدة أثناء اضطرابات حيضها.

أرى.. وأرى.. وأرى.

لست متحاملة بكوني أنثى على الجنس الآخر، ولكن بإمكاني الاعتراف الكامل بتحاملي على أشباههم (أشباه الرجال).

(7)

القاهرة

تعرَّفها بيَّا؟

مكتبة العرب الحصرية على التليجرام @bookArb

- القاهرة – مكتب الدقي

كنت أعلم أن هروبي إلى الإسكندرية لن يستمر طويلًا، فحتى رفاهية الانهيار أصبحت الآن لا تليق بي، أخجل من نفسي كثيرًا لجلوسي بجوار هاتفي لأكثر من ثلاث ساعات في انتظار مكالمةٍ منه، مكالمة يبدأها بـ «أعتذر» وينهيها بـ «أحبك كما أنتِ، أحبك لأنك أنتِ»، ولكن شيئًا ما بداخلي يؤكد أن ذلك لن يحدث مطلقًا؛ فالشخص الوحيد الذي وثقت به بعد أمي يخجل من ماضي أفتخر بأنني مررت من خلاله وأكملت طريقي كما لو لم يحدث، ماضي أراد أن أخجل منه أمام والدته التي ستعترض كثيرًا على زيجة ستجعلها تضع يدها في يد تربية الملاجئ كما سمعتها تتحدث معه خلسةً في لقائنا الأول، وأخبرني حينها أنه لربما يكلفنا الأمر القليل من الانتظار لعل قلبها يطمئن وتجد أن في وجوده إلى جواري راحته، لم أعترض قط فكنت أتوقع المزيد، ولكن الأمر الذي لم أتوقعه مطلقًا هو خُطبته، الأمر الذي عرفته بشيءٍ أقرب إلى الصدفة، وبدلًا من أن ينكر أكد الخبر وأفصح عن الخبر العظيم بأن والدته من أجبرته على فعل ذلك وكأنه طفل لم يمتلك حقًّا ولو بسيطًا أن يختار تلك التي سيهرم معها ويُكتب اسمها في شهادة ميلاد أبنائه، بل الأصعب من ذلك أنه عرض عليَّ الزواج سرًا، وإن كنت أحبه بنفس مقدار محبته فعليَّ أن أردخ للأمر الواقع، ليس فقط أن أصبح الزوجة السرية، بل أن أتقبل أن تشاركه أخرى سريرًا واحدًا وحياةً أخرى، فهل حينها سأفكر قبل تقبليه أن شفتيه ربما تحملان أحمر شفاهٍ من أخرى، أن أصبح غير قادرةٍ على التمييز بين رائحته ورائحتهما معًا، أن عقب كل لمسةٍ منه لجسدي ستقف بيني وبين نشوتي لمسته لها، وأن كل دعابة منه لجسدي ستكون بنصف رغبةٍ منه، أن يمتلكني بالكامل وأمتلك منه النصف في كل شيء، وأن أصبح بالنسبةِ له شريكة سريرٍ ولست بشريكة حياة؟

طلب مني أن أنظر من زاويته ولو للحظة ومن ثمَّ أتخذ قراري، هل فكر هو أيضًا للحظةٍ كم أرى نفسي قليلة أمام طلبٍ كهذا؟

هل فكر أن أيةَ امرأة بحاجةٍ إلى أن يغمرها بحبٍ معلن أمام الجميع؟

لرجل يمسك بيدها ويقول: «هذه من استحقتني، ومن استحققيت قلبها»، ألَّا يخجل منها وأن يفتخر بها أمام نفسه قبل الآخرين..

أن يحبها ويزداد غرورًا لأنه أحب امرأة مثلها.

أعيد على نفسي حديثه السابق لي، كم مختلفة أنا عن أيةِ امرأة أخرى من الممكن أن يكون التقى بها طوال حياته، كم أنني حنونة وحناني بإمكانه أن

يفيض عليه حتى يهرم ويهرم أولادنا أيضًا، كم أنني امرأة تعرف كيف تحب وكيف تعطي ولا تنتظر حتى أن تأخذ قسطًا مما أعطت أو حتى بدلًا عنه، وكم وكم من الغزل الذي أغرقني فيه طوال الأشهر الماضية، تلك الكلمات التي حرمت على قلبي سماعها منذ زمن.. ولمَ؟

خوفًا من لحظةٍ كهذه، لحظة أكتشف بها أنني عشت حياة أُجبرت فيها على كل شيء، وحين جاء دوري والحق لي في أن أصبح سيدة اختياري اخترتُ من سيجعلني أستمر في نفس الطريق، طريق اللا راحة.

ألم يرَ في عينيّ هذه المرأة التي أخبرها مرارًا وتكرارًا كم هو غارقٌ في عشقها شيئًا أشبه باستنجاد؟ رغبةً منها وأملًا فيه أن ينتشلها من بحر الألم الذي فاض حتى عنقها وأوشك أن يذيبها ويذيب ما تبقى فيها من أملٍ في عيش الحياة التي تستحقها عوضًا عما عانته منذ يومها الأول؟

لكنه لم ينظر إلا لنفسهِ فقط مثلما يفعل دائمًا، يغرقها في الكلمات وحين يأتي وقت الفعل يختفي، يتبخر.

وبينما أنا عالقة في جدالٍ معه بخيالي طرق الباب ودخل ليصبح جدالًا حيًا.

عبد الرحمن:

-ممكن أفهم إنتِ ما بترديش عليًا ليه؟

ليزا:

-مشغولة.

عبد الرحمن:

-من يوم ما عرفتِك وانتِ مشغولة، بس كنتِ بتعرفي تلاقي لي وقت.

تتحرك إليه وتقف أمامه مباشرة ناظرة إلى عينيه بعمق.

ليزا:

-إنت عارف، مرة أمي حكت لي حكاية لطيفة كدا من حكاياتها عمري ما بنساها، قالت لي إنها مرة حبت راجل، أو جدع زي ما قالت، كانت كل البنات بتحسدها عليه لدرجة إنها لما اتأكدت إنه هو كمان بيحبها، كل اللي في حياتها قالوا لها اخطفيه قبل ما غيرك يجي ويخطفه، اللي زي دا ما بيجيش في العمر غير مرة، بس عارف ساعتها هي عملت إيه؟

وقفت قدامه وقالت له: «فيه ست ترفع راجل لسابع سما وفيه ست تسففه

تراب الأرض، وأنا بقى الاتنين، وانت اللي في إيدك تختار أي راجل هتكون؟».

-ومن ساعتها ما شافتش وشه لحد اللحظة اللي حكت لي فيها الكلام ده، عارف ليه؟

-خاف منها، أصل فيه رجالة كدا بتتخض من الست الجامدة، اللي تقف قدامك وترسم لك العلاقة اللي هتصون لها قلبها وكرامتها بالخط العريض وتخيرك، هتمشي عليه ولا نفضها سيرة؟

-زي ما يكون السبيل الوحيد اللي المفروض أقول لك بيه بحبك هو إني آجي على نفسي وكرامتي وما تبقاش على المُرة والحلوة متواعدين، تبقى في الحلوة بس، والمرة أنا اللي أشيل طينها لوحدي.. وانا مش هشيل لوحدي تاني خلاص يا عبد الرحمن ، كفاية على كتافي شيلة السنين اللي فاتت.

عبد الرحمن:

-إنتِ ليه مش عايزة تفهميني؟ ليه مش قادرة تفهمي إني لو اختارت الراجل اللي هكونه، فأنا مش هختار غير راجل يحبك ويصونك ويحطك جوه عينيه.

ليزا:

-إنت اللي ليه مش قادر تفهم إني لا معيوبة ولا ناقصني حاجة علشان أرضى باللي عايزني أرضى بيه؟

عبد الرحمن:

-إنتِ ليه مُصرة تهيني قلبك بنظرتك للموقف؟

ليزا:

-أنا ما أهانتش قلبي، إنت اللي أهانته يوم ما طلبت مني الطلب ده، مالهاش معنى تاني.

عبد الرحمن:

-لأ ليها، ليها إني بحبك وعايزك.

ليزا:

-بتحب نفسك أكتر.

عبد الرحمن:

-ومين ما بيحبش نفسه؟

-كلامِك دا كله مالوش معنى برده غير إنك بتحبي نفسك أكتر مني.ليزا:

-يبقى ليه بقى؟! ليه مستكتر عليا اللي راضيه لنفسك؟

عبد الرحمن:

-اللي بيحب بيضحي.

ليزا:

-وليه أنا اللي أضحي؟ ليه أعيش عمري كله بدفع تمن حاجة أنا ماليش يد فيها؟ ويوم ما يبقى بإيدي أختار؛ أختار بردو إني أفضل أدفع تمنها.

عبد الرحمن:

-ليزا، أنا بحبك.

ليزا:

-وأنا عمري ما هحب حد قد ما حبيتك.

عبد الرحمن:

-يعني راضيه تحبي غيري؟

ليزا:

-أكيد مش هترهبن بقية عمري وانت على إيدك عيالك، زي ما انت هتعيش أنا كمان هعيش.. مش أنا الست اللي تعيش على ذكرى واحد اختار غيرها.

عبد الرحمن:

-قلبك جاب الجبروت دا منين؟

ليزا:

-من اللي شافه زمان وخوف من اللي مش عايزاه يشوفه دلوقتي.

عبد الرحمن:

-بس إنتِ ما كنتيش كده!

ليزا:

-ما تقيسش ضعفي في حضنك، بمقدار قوتي بعد ما عرفت إني هتحرم منه.

عبد الرحمن:

-ليزا أنا...

اقتربتُ منه وتبادلتُ معه القبلات لأول مرة، لم أشعر بنفسي حينها، كان شيئًا أشبه بالرقص في الفضاء، جسدك بأكمله متناثرٌ في اللا شيء، وكأنك تصل بأجزائه لرعشةٍ لن يراها أحد سواك، داخلك شتاء مهزوم وخارجك ربيع منتصر، أشعر الآن بشفتيّ تنفصلان عن وجهي وتلتصقان به أكثر، لم تستجيبا للحظةٍ لنداء عقلي وتبتعدان عنه، تريدان أن تستمتعا بكونهما جزءًا منه لوقتٍ أطول، وكأنهما تعلمان جيدًا أن هذه ستصبح القبلة الأولى والأخيرة!

مرت لحظات لا أعلم كم عددها حتى تداركت الموقف وابتعدت عنه، ظل مبتسمًا ومغمضَ العينين للحظات، يبدو أنه ما زال عالقًا عند شفتيّ حتى بعد أن أبعدتهما عنه، ربما شعر بما شعرت!

أعلم جيدًا أنني لم أكن أول فتاةٍ يُقبلها، ولكن أعلم أنه لن يجد أمتع من قبلةِ فتاةٍ أحبته وأرادت أن يُصبح أول رجلٍ يقص شريط شفتيها، فتاة أرادت أن تنهي العلاقة بشيءٍ كهذا، شيء سيظل يتذكره طوال حياته.

ليزا:

-مش من حقي، بس اعتبرته.

عبد الرحمن:

-حبيتي تعذبيني في بُعدك أكتر مش كده؟

ليزا:

-مش كده، أنا بس قررت إني ما اندمش تاني على حاجة كان نفسي أعملها وما عملتهاش، لعلمك أنا اللي هفضل أتعذب باقية حياتي، علشان وانا بعمل دا كنت عارفة إن أول راجل هيبوسني مش هيبقى الراجل اللي هكمل حياتي معاه.

عبد الرحمن:

-ليزا...

قاطعته

ليزا:

-ما تقولش أي حاجة، بيتهيأ لي مفيش نهاية هترضيك كراجل أحسن من

كده.. فرصة سعيدة يا عبد الرحمن بيه، نورت حياتي ومليتها بالبهجة، هه! شرفت.

***

على قد ما كنت حاسة وقتها إني على وشك ألف ضهري واخده في حضني وأقول له مش هسمح لك تعمل فينا كده، إلَّا إني أول ما لفيت ضهري ومالقتوش أخدت نَفَسي وقلت الحمد لله إني ما عملتش ده.

مش أنا الست اللي تسيب مشاعرها توديها يمين وشمال ورا ضل راجل مش قادر حتى ياخد قرار في علاقتهم، شوية يحب وشوية يهرب وشوية يحتار فيرمي الكورة في ملعبها ويخيرها ما بين خيارين هو نفسه مش عارف يختار ما بينهم.

ما كنتش عارفة أنا حاسة بإيه بالضبط، بس كنت متأكدة إني عملت الصح، حتى لو ما كانش فيه راحتي بس على الأقل كرامتي فيه متصانة.

يمكن غلطتي الوحيدة إني قررت إنه يبقى أول واحد أسمح لنفسي إني أحس وأعيش معاه كل حاجة، أول راجل كان يمسك إيدي بعد ما كنت بخاف من سلام إيد أي غريب عني، أول راجل أسمح لجسمي يولف على حضنه وما يخافش منه ولا من ريحته، ودلوقتي بقى أول راجل هعيش بقية عمري بطعم شفايفه على شفايفي وريحة نفسه اللي عمري ما هقدر أنساها، دايمًا أول حاجة في كل حاجة ما بتتنسيش، وعبد الرحمن خصوصًا مش سهل يتنسي، الراجل اللي من كتر ما آمنت له اديت له مفاتيحي اللي يقدر يدخل لي بيها منين ما يحب، سبت له كل حاجة مواربة حتى قلبي، واديت له كل اللي عندي لدرجة إن ما بقاش عندي حاجة أديها لأي حد تاني غيره، ومن هنا أقدر أقول: «هذه العلاقة جعلتني لا أصلح لأيةِ علاقة أخرى»، أو يمكن أنا اللي ما بقيتش عايزة آأمن أو ما بقيتش عايزة أضعف أو ما بقيتش عايزة أختار!

(8)

أسوان

أهرب من قلبي

أروح على فين؟

- جسر الأماني – أسوان

من وقتٍ لآخر تحتاج إلى الجلوس مع ذاتك وإدارة أمرك بمفردك، تلجأ إلى الابتعاد عن الأشخاص الذين لا تشعر بضعفك إلا معهم، ربما لن تصل بعقلك إلى أي شيء؛ لأنك اخترت ومنذ البداية صعود الجبل حتى قمته، والقمة لم تأتِ بعد، لن تستفيد أي شيءٍ إذا فكرت أنك ستصل لتلقى حتفك؛ لأنك إن لم تستمر ستبقى عالقًا في المنتصف، في الحالتين لن تنجو، لذا الاستمرار هو الحل الأمثل.. حتى وإن لم تحصل على ما تريد فستكفيك حينها نشوة الوصول لنقطة النهاية حتى وإن اختلطت بالدموع، في النهاية كلٌ سيلقى مصيره، وإن كُتب الحزن على القلب فلن يفترقا سوى بالموت.الدنيا عبثية أكثر بكثيرٍ مما يبدو عليها، وبعد تفكيرٍ ليس بالقليل ستجد نفسك غير قادرٍ حتى على استيعابها، حينها فقط ستُقرر أن تترك زمام الأمور للقدر وتجلس جانبًا لتشاهد..

وهذا ما توجب عليَّ فعله الآن.

أحيانًا ترغب في الوقوف لتشاهد ما قد يفعله الطرف الآخر، هل سيستلم للمسافةِ التي تزداد بينكما يومًا بعد آخر، أم سيُقبِل على التصرف وحل الأمر الذي يُخبرك دائمًا أن لا حل له، أم سيصمت ويترك الأمور تُحل من تلقاء نفسها؟

كنت أعلم أن الأخير ما سيحدث وأن الشيء الوحيد الذي من الممكن أن يفعله هو الاستمرار في إعطائي مسكن الآلام المعتاد «حجة الظروف» التي لن تنتهي مطلقًا.

زين:

-الغريب إنك بتبعدي عني ومع ذلك ما بتلجأيش غير للمكان اللي عارفة إني هدور عليكِ فيه.

غنوة:

-تخيل! حتى وانا ببعد بديلك ألف فرصة تلاقيني، عايز غُلب أكتر من كده؟

زين:

-إنتِ ليه مُصرة تحسسيني طول الوقت بالذنب؟

غنوة:

-إنت مستكتر على نفسك حتى تشيل شويه من اللي أنا شايلاه؟ هتفضل أناني لحد إمتى؟!

زين:

-أنا أناني يا غنوة؟!

غنوة:

-المشكلة مش في أنانيتك، المشكلة إنك مش حاسس بيها، مش عايز تشوف إن العلاقة دي أنا اللي شِلتها على كتافي علشان نوصل بيها لحد هنا، أنا كنت بشيل وانت تيجي وتقول لي تعبت، ولّا انت بجد مش واخد بالك؟

زين:

-أنا ما بقيتش عارف إزاي أرضيكي؟!

غنوة:

-هترضيني لما تعترف بيّا، لما تقف قدامهم كلهم وتقول لهم أنا بحب دي، دي اللي أنا اخترتها، لما تبقى قد كلمة بحبك اللي قلتها لي وطلبت مني وقتها إني أصدقك، لما قلت لي إن الوضع دا مؤقت ومش هيستمر وفضلت أتأقلم عليه من سنين، لما تحس إني أستاهل إنك تواجه أهلك علشاني، وإن خلافك وقتها مع أبوك مش هيبقى نهاية الدنيا!

زين:

-إنتِ عارفة إن بابا مش هيستحمل ده.

غنوة:

-أيوة، يلا بقى نبدأ!

زين:

-نبدأ إيه؟

غنوة:

-إسطوانة الحجج والأعذار اللي بسمعها بقالي سنين، بس أنا مش هستنى لحد ما أشوفك بتتزف على واحدة غيري.

زين:

-كل دا علشان خرجت أنا وهي لوحدنا؟

-ما انتِ كنتِ شاهدة بنفسك إني كنت مضطر.

غنوة:

-كل دا علشان لسه مُصِر تشوف الأمور بنظرة ضيقة، كل دا علشان مش حاسس أنا ببقى موجوعة إزاي وانا شايفاها بتحلم وبترسم وبتخطط لحياتها معاك وانا واقفة بتفرج، كل دا علشان مش حاسس أنا بشوف نفسي قد إيه وحشة لما بتيجي تلجأ لي وتشتكي لي من إهمالك ليها وعينيها كلها قهرة، وغصب عني ببقى مش عارفة ما افرحش.

زين:

-يعني أنا ذنبي دلوقتي بقى إني بحبك ومش عارف أكون ليها؟!

غنوة:

-ذنبك إنك مش عارف لا تبقى ليا ولا ليها.

زين:

-إنتِ عارفة كويس أوي أنا ما بحبش حد غيرك.

غنوة:

-أنا بقالي سنين ما بسمعش غير كلام وبس، آه في الأول كان بيبسطني ويريحني ويبطمني، بس دلوقتي خوفي بقى أكبر بكتير من إنك تقول لي بس بحبك، أحيانًا ببقى محتاجة إنك تثبتها.

زين:

-وانتِ هيرضيكِ إن أنا أخسر أهلي؟

غنوة:

-وانت يرضيك إن أنا أخسر نفسي؟

زين:

-استحملتِ كتير اللي باقي مش هيكون أكتر من اللي عدا.

غنوة:

-اللي باقي هيخليني أشوفك في حضن واحدة غيري.

زين:

-مش هيحصل.

غنوة:

-هيحصل.

زين:

-مش هيحصل، ومن فضلك مش عايز أسمع أي حاجة تاني.

ومن ثمَّ جذبني إليه وعانقني عانقًا شديدًا محاولًا أن يطمئنني به.

زين:

-أنا بحبك، بحبك قوي.

غنوة:

-أنا تعبت يا زين، تعبت بجد وما بقتش قادرة أستحمل خلاص، أنا بحاول أتقبل نظراتهم ليا اللي طول الوقت بتقول لي فيلم إيه اللي شغَّالين عليه الشهور دي كلها، ويلا ارجعي بلدك لا احنا شبهك ولا انتِ شبهنا، تعبت وانا مش قادرة أصرخ واقول لهم مش مهم أبقى شبهكم المهم أبقى شبهه هو، زين أنا ما بقتش قادرة خلاص أنا عايزة أرجع مصر.

زين:

-لو دا هيريحك اعملي كده، أنا مش عايز غير راحتك.

رد فعل غريب وغير متوقع، كأنه كان ينتظر أن أخبره برغبتي في العودة ليوافق، فسابقًا كان ينهي الحديث إن وصل لنقطة عودتي إلى القاهرة رافضًا دون مناقشة، ربما شعر بحاجتي إلى البعد والراحة وأن ذلك بإمكانه أن يجعلني أتقبل الوضع الحالي مرة أخرى بعد شحن طاقتي التي أستمدها من أصدقائي وأهلي، وربما أراد أن يأخذ قسطًا من الهدوء بعيدًا عن الضغط الذي قد تسببت فيه الفترة الماضية.. في الحالتين يجب أن أكون سعيدة بموافقته هذه، فبها يمنحني فرصة للجوء إلى عقلي مرة أخرى بعيدًا عنه وعن سيطرة مشاعري تجاهه.

غنوة:

-ما كنتش متخيلة إنك هتوافق.

زين:

-قولي إني بعد ما وافقث حسيتِ إنك مش هتستحملي تبعدي عني.

غنوة:

-أفهم من كدا إنك إنت هتستحمل تبعد عني؟

زين:

-مشكلتك إنك بتسألي دايمًا السؤال وانتِ عارفة إجابته.

غنوة:

-برتاح لما بسمعها منك.

زين:

-وانا مش هريحك بقى المرة دي.

غنوة:

-مش ههون عليك.

ضحك قائلًا:

You know too much-

فابتسمث أنا الأخرى ومن ثمَّ نظر إلى عينيَّ بشكلٍ مطول قائلًا:

-هتوحشيني أوي.

غنوة:

-هعرف أخبارك أول بأول، أنا خلاص بقيت قديمة هنا وليا جواسيس في كل حتة، هتلعب بديلك كدا ولا كدا هتلاقيني فوق دماغك.

زين:

-جاية تقولي الكلام دا هنا؟ طب كنتِ خليه لما أرجع القاهرة، ما انتِ عارفة اللي فيها.

غنوة:

-تصدق وحشتني أيامنا هناك.

زين:

-أنا بقى ما وحشتنيش علشان أنا واثق إننا كدا كدا راجعين لها.

غنوة:

-نفسي أعرف ثقتك دي جايبها منين؟

زين:

-من اللي ما بينًا واللي عارف إن مش سهل على أي حد فينا إنه يسيبه ويمشي، علشان كدا واثق إننا هنكمل.. ممكن بقى ترتاحي إنتِ كمان؟

غنوة:

-هحاول.

زين:

-قررتِ هتسافري إمتى علشان أبعت حد يحجز لك تذكرة الطيارة؟

غنوة:

-دا انت مستعجل أوي.

زين:

-مستعجل على رجوعك من هناك تاني، مش على سفرك.

غنوة:

-أحسن واحد ياكل بعقلي حلاوة.

زين:

-بس أنا مش عايز آكل عقلك بس!

ومن ثمَّ اقترب مني وألصق فمه بشفتيَّ في قبلةٍ دامت لوقتٍ حقًّا لا أتذكره، لكنه ومهما طال بالنسبةِ لي لم يتعدَ البضع ثوانٍ.

وفي اليوم التالي انطلقت بحقيبتي باتجاه المطار رافضة أن يصطحبني أحد وخصوصًا زين، كنتُ أرغب في الاستمتاع بالطريق بمفردي؛ فوجوده على مقربةٍ مني يكفي لكي لا أعطي اهتمامًا لأي شيءٍ سواه، وربما تلك الإجابة فقط هي من أرضت غروره فوافق على طلبي هذا وتركني أذهب إلى المطار بسيارة أجرة دون أن يصطحبني هو أو أحد من رجال أبيه.حاولت بقدر الإمكان الاستمتاع بالمناظر الطبيعية والجمال الذي أعلم جيدًا أنني أودعه

للمرةِ الأخيرة؛ فمن كثرة ما عانيته طوال الفترة الماضية لم أتمكن من صنع ذكرياتٍ طيبة في مكانٍ رغبت في زيارته دائمًا، فمنذ يومي الأول وأنا أشعر وكأنني منبوذة من أهل قرية زين لمجرد كوني فتاة قاهرية جاءت مع رجلٍ غريب وقطنت في منزله، منزله الذي لا يخلو مطلقًا من رجال أو نساء، وغرفة تبعد عن غرفته بعدة غرف يوجد بها أمه وأبوه وخطيبته! أيعقل أن يحدث بيننا شيء؟!

حاولث إيضاح ذلك طوال الأشهر الماضية حتى لا تصيبني النظرة ذاتها في كل مرة، وشرحتُ للمرةِ بعد الألف أن طبيعة عملي تُحتم علينا التواجد معًا بشكلٍ دائم لأننا نتشارك الآن في كتابة أحد الأعمال، ولكن لا حياة لمن تنادي، ربما الحق معهم لأن ما يجمعنا لم يكن يومًا بعملٍ فقط، وهذا على الأغلب يظهر في نظرةِ كل منا للآخر، ولكن الظاهر أمامهم منَّا ليس أكثر من كوننا أصدقاء عملٍ فقط، فما كنا نفعله بالقاهرةِ وبين أصدقائنا كنا نفعله أيضًا هنا، الغريب أن الوحيدة التي لم تُلقني بتلك النظرة مطلقًا أو حتى حاولت أن تُلقي كلمة لتبدو دون قصدٍ في ذلك الموضوع هي حنة، ربما لم تكن بالذكاء الكافي لتعي ذلك، أو ربما أرادت ألا تفهم أبدًا خوفًا من إدراك حقيقةٍ تظهر أمام عينيها بشكلٍ كامل وهي أن زين لم يحبها يومًا، وخطبته لها كانت أشبه بعهدٍ اتخذه أبوها وأبوه منذ صغرهما، وبعد وفاة أبيها أصبح والد زين الحافظ الوحيد لذلك العهد، وتوجب على زين الاستسلام لذلك بحكم العادات والتقاليد العقيمة التي لا تعترف بحبٍ سوى حب العائلة والحفاظ على مصالحها.أعلم أن الخطأ هنا وبشكلٍ واضح هو خطأ من أسميته حبيبي، ولكن من منَّا باستطاعتهِ أن يُضحي بحبٍ عدة أشهر، ليفعل مثلي ويُضحي بحب سنين كالتي بيننا؟ ربما هو بالجبن الكافي الذي جعله يخضع لتحكمات أبيه، ولكنني أيضًا لست بالشجاعةِ الكافية التي تجعلني لا أستسلم لاستسلامه، وأقف معه بانتظار معجزةٍ تأتي لتهدم أساس تلك القرارات فتنهار بعيدة عن الحب الذي خطوت فوق الشوك من أجله حتى هذه اللحظة، ربما يراني البعض واحدة تهدم عشًا من المحتمل أن يكون سعيدًا، ولكن هل من العدل أن يُبنى ذلك العش على دموعي؟

أحيانًا أشعر برغبةٍ شديدة في احتضانه أمام الجميع قائلةً هذا ملكي، وحيدي وحبيبي، مهما فعلتم فلن تفرقوا بيننا، ولكن أجد شيئًا يأتي من داخلي ليخبرني أن حبيبي هذا لن يقوى على الصمود معي للحظةٍ إذا وجب علينا أن نحارب، فإذا جاء الطوفان أول شيءٍ سيضعه تحت قدميه هو عشقه لي، العشق الذي بُنيَ فقط على الكلام، وما بُنيَ في العشق على الكلام فهو

باطل، ففي منتصف الطريق سأجد نفسي أُحارب بمفردي، أُحارب في الجبهةِ الخاسرة كما يقولون، أما هو! فسيتبخر مثلما ستتبخر وعوده حينها.

لا أعلم ما سر تلك الهلاوس التي تُسيطر على عقلي من حينٍ لآخر، أو ربما أعلم، فالسبب الأكيد وراء ذلك أن كلامه فقط لم يعد كافيًا ليُطمئنني كما السابق، خاصة وقد رأيت بعينيّ كيف يستجيب لجميع قرارات أبيه دون أدنى مناقشة، الغريب حقًّا أن الرجل الذي رغبت به دائمًا في خيالي وعشت طوال السنوات الماضية وقبل لقائي بزين أبحث عنه؛ بعيد كل البعد على أن يكون تابعًا لشخصٍ آخر حتى ولو كنت أنا.. حبيبته! وللأسف ظننت أنني وجدت هذا الرجل فور لقائنا، رجل دائمًا يتحدث عن النزاهة، عن العدل، عن الحق وعن الحلم.. رجل يتحدث ويدعم كل شيءٍ بإمكان أية فتاة مثلي أن تبحث عنه وأولهم أن بإمكانه أن يحارب الكون من أجلها.

ولكن وبعد أن انساب بداخلي وسيطر على كافة حواسي وأصبح بإمكانه أن يُحرك مشاعري يمينًا ويسارًا أينما أراد طلب مني أن تصبح علاقتنا علاقة سرية!

الرجل الذي وعدني بمحاربة الكون من أجلي أراد أن نترك مشاعرنا تنمو ولكن خلسةً بعيدًا عن أعين من حولنا سواء بالعمل أو خارجه، وخشية من من؟ من أبيه الذي كانت تبعدنا عنه مئات البلاد، الكاتب الكبير الذي سرق قلبي منذ اللحظةِ الأولى التي وقعت بها عيناي على كلامته، الذي رغبت دائمًا أن أعمل معه وأن أتعلم منه، الذي اعتقدتُ أنه أكثر الرجال شجاعة في التعبير عن مشاعرهِ؛ وجدته أجبن بكثيرٍ من القلم الذي يتخفى وراءه، فلسانه لم يكن شجاعًا بالدرجةِ الكافية التي تجعله يقرأ ما يكتبه على قلبه، ربما يتعلم كيف يكون الحب بعيدًا عن الأفلام التي يكتبها، والروايات التي يلعب بها بمشاعر مرهفي الحس أمثالي.

حينها تذكرت نصيحةً قد نصحتها لإحدى صديقاتي ذات يومٍ حين أخبرتني أنها وقعت في غرام أحد المخرجين، دون التفكير للحظةٍ أنني سأستعين بها يومًا ما لمواجهة نفسي:»يوم ما تحبي ما تحبيش لا كاتب ولا مخرج، الكاتب هيكتب لك أوهام في صورة أحلام مش هتحصل، والمخرج هينقل لك واقع من وجهة نظره هو وبس، وانتِ لا هتستحملي تعيشي في وهم، ولا هتكملي حياتك بتتأقلمي على وجهة نظر مش بتاعتك».

بإمكان المرء دائمًا تقديم النصيحة لأي شخصٍ عداه، حتمًا لأنه فيما يخصه يرى كل شيءٍ من الداخل، ووقت سيطرة المشاعر لا يقوى العقل على فعل أي

شيء، فسابقًا لم يكن باستطاعتي أن أرى الصورة بهذا الوضوح، وهذا ما يجعلني أشعر بالسخطِ تجاه نفسي بين الحين والآخر، ففي السابق كنت أظنني أحبه لأنني أرى كل ما هو جميل فيه ومعه، أما الآن فعيوبه جميعها تتراقص أمام عينيّ، العيوب التي كنت أذكرها دائمًا حين يسألني أحد أصدقائي: «بمن لن ترغبي الزواج يومًا؟»، ولكن بعد حبي له أصبح كل شيءٍ مختلف، فمع كل عيبٍ يظهر أمامي، أجدني أحبه أكثر وأتمسك به أكثر، وأمنح عقلي المبررات الكافية التي تجعله يتجاهل ما يصدر عنه عكس مبادئه السابقة، بل في بعض الأحيان أُغير من قناعتي لتنقلب هذه العيوب أمام عينيّ لأشياءٍ بإمكاني تقبلها.

في حالتي مرآة الحب ليست عمياء كما يقولون، بل أنا من أفقدتُها بصرها منذ اليوم الأول في هذه العلاقة التي أظن أن بإمكانها الآن أن تنهيني.

أثناء انطلاق السيارة في اتجاه المطار لفت انتباهي شيء في غاية الجمال، مبنى مكون من طابقين بألوانٍ لا تقل روعةً عن البناء ذاتهِ بطريقةِ تقسيمه المختلفة وإضاءته البسيطة الساحرة التي تُزين الاسم الذي يحمله «رؤى»، وهنا سألت السائق عن هذا المكان، فأخبرني بشيءٍ غاية في الغرابة.

السائق:

-دا مكان الست رؤى.

غنوة:

-أيوة أوتيل يعني ولا كافيه ولا إيه بالضبط؟

السائق:

-دا مكان للي عايز يرمي كل اللي فات ورا ضهره ويبدأ من هناك.

وهنا علمتُ أن هذا المكان هو منزل إحدى السيدات، وقد خصصتهُ من أجل النساء فقط، ليس بإمكان رجلٍ أن يخطو بداخله خطوة واحدة، حتى ابنها جعلته يقطن في غرفةٍ مستقلة غير تابعة للمبنى، لا أحد يعلم ما يحدث بالداخل، ولكن الشيء اللافت للانتباه أن هذا المكان لم تدخله امرأة عابسة إلَّا وخرجت منه والدماء تسري في وجهها كطفلٍ حديث الولادة.. ماذا حدث؟ لا أحد يعلم، وإن سألت إحداهن فلن يصلك رد.حديث السائق كان أشبه بحكايات جدتي التي كنتُ أسعدُ كثيرًا بسماعها، ولكن الفارق أنه يتحدث عن مبنى رأيته بعينيّ، لكنه خالٍ من أيةِ تفاصيل تحدث بداخله، لذا قررت أن أخوض

المغامرة بنفسي، وطلبت من السائق أن يعود بي إلى ذلك المكان ربما أبتسم أنا الأخرى.

اتجه بي إلى المكان وجاء عند أول بوابةٍ وأخبرني أن عليَّ أن أُكمل من هنا بمفردي، هنا لا يعين المرأة سوى نفسها.ومنذ اللحظةِ التي خطوت بها من البوابة الخارجية لم تلمح عيناي جنس ذكر، الأمن الداخلي فتاة، من حملت معي حقائبي فور وصولي كانت أيضًا فتاة، حتى من ظننته من بعيدٍ رجلًا نظرًا لزي المزارع الذي كان يرتديه حينما اقتربت وجدته فتاة.. يا له من مكانٍ غريب! ولكنه مريح للنفس بشكلٍ لا يصدق.بالاستقبال وجدتُ بانتظاري سيدة خمسينية بيضاء، وجهها مُبهج للغاية والابتسامة لا تفارقه.حين اقتربتُ منها ابتسمتْ ونظرت لعينيّ بعمقٍ ولم تسألني حتى عن اسمي، لم تقل سوى جملة واحدة...

رؤى:

-كله بيعدي.

وأمرت الفتيات بالداخل بحمل حقائبي لإحدى الغرف المطلة على النيل، كنت أشعر وكأنني أصبحت بطلة لإحدى القصص التي كانت تقصها عليَّ جدتي..

بالتحديد قصة الأميرة التي تاهت وسط الغابة وأصبحت بلا مأوى إلى أن وجدت قصرًا كبيرًا لامرأةٍ عجوز استضافتها بداخله حتى جاء حبيبها وعاد بها.الشيء الذي لن يحدث مطلقًا حتى وإن اكتملت جميع أحداث القصة، وكانت هذه هي المرأة العجوز التي ستهتم بي مثل ابنتها؛ إن حبيبي لن يأتِ قط، ربما لن يتذكرني تلك الليلة إن طلب منه أبوه الاهتمام بأي شيءٍ مهما كان بسيطًا.

ربما آتي على خاطره عند النوم بعد أن تهمد جميع حواسه عدا قلبه، حينها سيأتي دور حبيبته التي تركته لأول يومٍ منذ عدة أشهر لم يفترقا فيها سوى عدة ساعات.حركت يديَّ على وجهي محاولة تجاهل ما طرأ على عقلي الآن، وبعد أن وصلت إلى غرفتي التي كانت أشبه بغرف الأطفال، دمى العرائس في كل مكان، وألوان كل شيءٍ بها ما بين الوردي والسماوي، كل شيءٍ بسيط وغاية في الجمال، والأجمل من كل هذا الشرفة التي كانت تطل على النيل وذكرتني بـ «جسر الأماني».

وهنا تذكرت جملته: «يعني يوم ما تحبي تهربي مني، تهربي للمكان الوحيد

اللي عارفة إني هدور عليكِ فيه!».

وهنا نطقت بصوتٍ مسموع: «أهو أنا دلوقتي في المكان اللي عمرك ما هتفكر تدور عليًا فيه».

***

هو أنا كدا أبقى بهرب منه ولا بهرب من نفسي؟

وانا صغيرة لما كنت أحتار ما بين حاجتين بحبهم ويبقى لازم أختار ما بينهم كنت بنام، كنت بقول لنفسي اللي هشوفه في حلمي هو اللي هختاره، عمري ما فكرت إن اللي هيجي لي في الحلم هو اللي أنا محتاجاه، واللي أنا محتاجاه مش شرط يكون الاختيار الصح.

المشكلة إني دايمًا كنت بصدق إحساسي مهما خاني وضحك عليا، كنت باخد كل قلم والتاني واقول كمان طالما لسه مصدقاه، سِبت بلدي وأهلي وجريت ورا وهم بعيد، كانت كل العلامات بتقول لي نهايته مش هترضيكِ، بس كدِّبت كل دا وقلت ما يسواش لذة إني أبقى شيفاه بيروح وبيجي قصاد عيني، كنت بقول لنفسي أدفع نص عمري واقضي معاه يوم بطوله من شروق الشمس لغروبها، واليوم بقى شهور، واهي كلها ذكريات بتتخلق علشان يا تبكينا يا تفرحنا، وانا كنت عارفة إن ذكرياتي معاه أخرتها دموع، ومن غبائي كملت..

كملت لحد ما بقى طريقي ما فيش منه رجوع، والكورة والملعب والصفارة بقوا لعبته هو وبس، هو اللي من حقه يصفر وينهي التوهه اللي أنا فيها، أو من حقه بردو يصفر وساعتها أنا اللي هبدأ توهه جديدة بس لوحدي..

مش مكسوفة من نفسك وانتِ بتقولي الكلام ده؟

مش مكسوفة وانتِ بتقولي إنك لعبة في أي وقت هيطوحها بطول دراعه وهو ضامن ومتأكد إنها هترد وترجع له؟

مش مكسوفة من ضعفك واستسلامك؟!

مش مكسوفة من صوتك اللي ما بقتيش تسمعيه من كتر ما دقات قلبك بقت أعلى منه؟ صدقتِ بجد إنك بطلة رواية من اللي بتكتبيهم وان حدوتة الحب الأسطورية هي اللي جبراكي تكملي؟ ولَّا تكوني مستخسرة السنين اللي ضاعت فناوية تضيعي قصادها سنين لسه جاية؟!

جلد الذات مفيش أسهل منه، وممكن أفضل أقول لنفسي قد اللي قلته دا ألف مرة، وأعيده عليها كل يوم أول ما افتح عيني وقبل ما اقفلها.ساعات كمان بشوفه في حلمي، بشوفني في حضن راجل غيره وهو في حضن واحدة غيري، هو مبسوط وراضي وانا قلبي بيتعصر..

هو دايمًا راضي، وانا دايمًا مش راضية غير به.

صعب على بنت آمنت وحبت وحطت كل معاني الحب اللي آمنت بيها طول حياتها في راجل، تيجي وتعترف بسهولة إنه طلع ما يستاهلش، مهما عانت ومهما شافت بتحس إنها عايزة تكمل الحكاية لنهايتها يمكن تكدِّب اللي مش عايزه تصدقه أو تصدق اللي طول الوقت كانت بتكدبه..

المهم توصل للنهاية من غير ما تحس بذرة ندم واحدة إنها قصرت في جزء ولو صغير من الحدوتة اللي حطت فيها قد اللي كان لازم تاخده ألف مرة.

الأزمة بقى في العلاقات اللي من النوع دا، إن لو النهاية كانت عكس ما بتتمنى ما بتبقاش عارف إنت هتطلع منها عامل ازاي؟ يعني يا ترى هتطلع واخد درس عمرك اللي بيأهلك تدير حياتك بشكل أفضل، وتحكِّم عقلك في كل كبيرة وصغيرة، وما تغلطش الغلطة دي مرة تانية، وتبتدي من مكان ما وقفت أو حتى تخلق لنفسك نقطة بداية جديدة تتحرك من عندها، ولَّا هتخرج منها مكسور ومدغدغ مية حتة ومستني السنين تداويك من بره علشان عارف إن اللي جواك صعب يتداوى حتى بالسنين؟

علشان كدا هيفضل أصعب ما في الموضوع إن عمرك ما هتعرف النهاية فعلًا هتوديك لفين لحد ما توصل لها.

وبتهيأ لي إنها خلاص قربت، قلبي بيقول لي كده.

(9)

القاهرة

ما قد مضى

ولم يمضِ

لستُ أول من قررت الرحيل فانتهى بها الطريق إلى ملفٍ ضيق أعادها إلى بدايته، لستُ المذنبة ولستُ أيضا المجني عليها.. فلم أختر يومًا طريقي؛ فقد أُجبرت على السير فيه..

أجبرني قلبي، وما زال يجبرني..

ما زلت أنتظر، ما زال الأمل يراودني من حينٍ لآخر

كالأم التي تنتظر اعتذار رضيعها عن شيءٍ لن يدركه قط.

ما زلت أعبث مع طفلي الذي لم يكبر بعد رغم تجاوزه الأربعين وما بعدها بقليل.

ما زال كل شيءٍ يؤلم بحجم الجحيم، لكنني ولمرةٍ أخرى اخترت الطريق الأسهل، اخترت العودة من اللا شيء إلى اللا شيء، اخترت أن أستكمل رحلتي في الدائرة ذاتها، وأخبرته أنني لا أقوى على تحمل ذلك البعد بينما نحن في مكانٍ واحد، لم أتحمل أن يهرب بعينيه مني وأن يراني دون أن يلقي حتى السلام، أن تنكمش ابتسامتي برؤيته وأن ينقلب ما كان بيننا لنظرةٍ يسترقها كلانا بين الحين والآخر.عدتُ إليه وأنا أعلم أن عودتي لن تستمر طويلًا، أعلم أنه لن يستطيع أن يصبح رجلًا مخلصًا ليومٍ واحد، وأنني لست المرأة التي ستتعايش مع خيانته.

ومن هنا سنفترق مرة أخرى..

يبدو أنني لن أتمكن من تقبل النهاية حتى أصلُ بطاقتي إلى مؤشر الصفر،وأعلم جيدًا أنها على وشك الوصول.

الشيء الذي لا أعلمه حقًّا، لمَ يُلقي الإنسان دائمًا قلبه في التهلكةِ تحت شعار «هذا ما اختاره قلبي»؟

في مقارنةٍ بسيطة بين من أحبني ومن أحببته أجابني عقلي بأنني حمقاء للحد الذي لا حد له، وأجابني قلبي بأنني لولا مشاعري الحمقاء هذه لما استطعتُ يومًا التأكد أنني كأيةِ فتاة أخرى بإمكانها أن تحب وتُحب، لقائي مرة أخرى بـ «علي» أحيا كل الذكريات التي كنت أظن أنني ألقيتها منذ زمنٍ بعيد، فلم أحتفظ بشيءٍ منها سوى شعوري بالذنب تجاه أبي والذي حاولت دائمًا أن أُكفر عنه باستمراري في علاقةٍ أعلم أنها تستنفذ ما لن أستطيع استعادته مرة أخرى.

- عودة إلى الماضي:

فور انتهائي من شهادة الثانوية العامة قررت الالتحاق بكلية الإعلام التابعة لمدينة الإنتاج الإعلامي، كان شغفي بالفن يزداد يومًا بعد آخر، وأصبحت لا أرى أمامي سوى شيءٍ واحد؛ عمل فني يحمل اسم المخرجة «فيروز هاشم».

حاولتُ الابتعاد بقدر الإمكان عن كل ما هو مُرهق للنفس من ماضي أو حاضر، تجاهلتُ كل شيءٍ حتى مشاعري للدرجةِ التي جعلتني أظن أنني امرأة بلا قلب، لن تحب ولن تشعر حتى بحب من حولها، خطوة وراء أخرى وضعت قدمي على أول طريق حلمي، واشتركتُ في أول عملٍ فني كُتب اسمي على تتره كمساعد للمخرج، كانت أول خطوة ملموسة جعلتني أتأكد أنني على الطريق الصحيح، وتوالت الخطوات وازداد شغفي بالفن أكثر فأكثر وتيقنتُ أنني في المكان الذي لن أرغب أن أصبح في مكانٍ غيره، حتى اصطدمتُ بالواقع المُخزي في أول خلافٍ حدث بيني وبين أحد مساعدي الإخراج التابعين للعمل، بالتحديد المساعد الأول، ومن هنا سمعت جملة جعلتني أظن أن هذه ستكون نهاية الحلم الذي لم يبدأ بعد:

«ابقي قابليني لو اشتغلتيها تاني»، اسودت الدنيا في عينيّ أكثر من السابق، والغريب أن ما قاله حدث بالفعل، وبقيت في منزلي شهورًا عدة بلا أي عروضٍ لأي أعمال قريبة أو بعيدة، في ذلك الأثناء كان قد ظهر رجل أظنه أقل من حالفه الحظ بدخول حياتي، «خالد»، أحد مديري الإنتاج الذي جمعتني به أحد الأعمال، واستطاع وفي وقتٍ ليس بالكثير أن يشغل حيزًا كبيرًا في حياتي التي ظننت أنها لن تتسع لأحدٍ سوى أسرتي، اعتبرته صديقي المقرب، لكنني لم أكن يومًا صديقته، وكنت على علمٍ بذلك، ما الذي سيُجبر شابًا في مثل سنه أن يتمسك بفتاةٍ مثلي تخاف من كل شيءٍ، وتخشى اللا شيء الذي لم يأتِ بعد؟ لا تُفرق بين البكاء بمفردها والبكاء أمام الناس، طفلة صغيرة تفعل ما يحلو لها دون التفكير في أي زمانٍ ومكانٍ تكون.

ما الذي قد يجبره على ذلك سوى الشيء الذي يعمي الإنسان ويقلب موازينه ويُغير إعداداته للدرجة التي تجعله أحدًا غيره؟

الحب...

فقد رأيته في كل شيءٍ منه، في المواقف قبل الكلام، في الاهتمام الذي لم أبادله قسطًا بسيطًا منه، وفي النظرة التي كنتُ أُقابلها بسذاجةٍ تامة، ومع ذلك كان لا يبخل بها، ربما أراد أن يُصبح قلبه طليقًا ويختار من يريد أن تصل مشاعره إليه.

حتى جاء اليوم الذي اعترف لي بكل شيء، لم أُرِحهُ حينها ووجدت نفسي

عالقة بين الموافقة والرفض، بين شعوري بتقدير كل ما منحني إياه وبين الحب الذي لم أشعر به قط..

وبين تقديري له وإيماني أنني لن أجد من سيُحرك مشاعري التي تحجرت.. وافقت.

ظلت حياتي راقدة هكذا بين أسرتي ورفيقي الذي كلما ناداني بحبيبتي أندهش، وكلما غازلني أشعر بشيءٍ من الريبة، حتى جاءني اتصال في يومٍ ظننتُ أنه لن يأتي بعد حديث ذاك الزميل «المساعد الأول» بعملٍ جديد يُعرض علي، لذا اعتبرت شهر أكتوبر من أشهري المميزة؛ لأنه أعادني لحلمي مرة أخرى أو ربما ظننت ذلك.

من يعرفني جيدًا يعرف أنني وسط التصوير لا يشغلني شيء سوى إنجاز عملي بأسرع وقتٍ وبأفضل شكلٍ ولا أنتبه لأي شيءٍ آخر مهما بدا غريبًا، ولكن هناك شيئًا كان أوضح من ألا أنتبه إليه...

فمن غير الطبيعي أن أنال اهتمامَ شخصٍ لا أعرف حتى اسمه، بل كنت ألقي عليه السلام وعقلي يعرفه باسمٍ آخر، أبتسم فيبتسم، تتحرك عيناه معي باستمرار، يرد على أي سؤالٍ وإن لم أوجهه له، أتحمس فيتحمس وأتوتر فيلتفت يمينًا ويسارًا ليطمئن عليّ.

وفي نهاية اليوم أجد سيارته خلف سيارة «خالد» ينتظرني أذهب ليذهب هو الآخر، لم يحدث ذلك الأمر لمرة واحدة حتى أشعر به، بل تكرر مرارًا لدرجةٍ لفتت انتباهي وانتباه من هم مقربون مني من فريق العمل للدرجةِ التي جعلتهم يُخبرونني أنه ليس برجلٍ مناسب من حيث الشكل؛ فهم يعلمون أنني لا أُحب الرجل البدين، والسن فهو يكبرني بسنين عدة، ربما أربعيني، أو حتى الشخصية.. فطريقته تُشير إلى أنه ممن يحبون السهر والشرب وكل شيءٍ من هذا القبيل، ما سمعته كان وحده كفيلًا أن يُريني نهاية ما سيبدأ بعد.

وكان أفضل ما يجب عليَّ فعله أن أتجاهل ما يفعله أو ما قد يفعله وألا أعطي أيةَ ردة فعل.

الجدير بالذكر أنني لم أُفكر حينها أنه من المفترض أن يكون ما قد منعني حتى عن استكمال السماع إلى ذلك الحديث هو «خالد» خطيبي الذي أخفيت خطبتي منه عن الكثيرين لسببٍ لا أعلمه، هل لظني أننا لن نقدر على استكمال ما ظننت أننا بدأناه، أم لعدم شعوري بأي شيءٍ تجاهه أو شعوري حتى أنني في علاقة؟

تكمن وحشة الشخص الذي لا يحب أنه غير باقٍ على شيء، دائمًا ما ينهي أي خلافٍ بقرار الانسحاب، ويسهل هذا القرار على لسانه سهولة قول بسم الله قبل بدأ الطعام، لا أتذكر حقًّا كم مرة طلب مني خالد أن نُحدد موعدًا لخطبتنا وكم من حجةٍ اصطنعت، الشيء الوحيد الذي دائمًا ما أستند إليه حين يغمرني شعوري بتأنيب الضمير هو أنني أخبرته بكل شيءٍ منذ البداية، أخبرته أنني فتاة لا تعرف كيف تحب وكيف يكون الحب؟

لكن بالفعل توصلت لإجابةٍ لسؤالي هذا بعد عدة أيام، كان يومًا كأي يومٍ آخر أو هذا ما ظننته، من المنزل إلى ليليز إلى موقع التصوير وعقب وصولي تفاجأت بثاني شيءٍ يطرب قلب جميع العاملين بالميديا بعد جملة «القبض النهار دا» وهي: «فركش» لمشكلةٍ ما بالديكور، لذا اتفقنا أن نستغل اليوم ونذهب إلى أي مكانٍ كنوعٍ من التغيير، وهنا فاجأني بالسؤال...

علي:

-إنتِ هتيجي؟

فيروز:

-أيوا هاجي.

علي:

-طيب يا جماعة أنا هاجي.

تزداد حيرتي يومًا بعد يومٍ من ذلك الشخص الذي لم ألحظ عليه أي شيءٍ سوى اهتمامه الملفت بي، فمنذ دقائق معدودة سمعته يُخبرهم بعدم رغبته في الحضور، لمَ تغير رأيه عقب معرفته أنني سأذهب معهم؟ ما الذي يظنه سيحدث؟ فنحن لا نتشارك حتى في أبسط أنواع الحديث.يومًا ظننته كأي يومٍ قلب حياتي رأسًا على عقب، لا لم يكن يومًا كانت لحظة واحدة بعد انتهاء خروجتنا، أجبته فيها قائلةً: «في الشيخ زايد» ردًا على سؤاله: «إنتِ ساكنة فين؟»، رغم علمي الشديد بأنه يعلم الإجابة، ومن هنا عرض عليَّ أن يوصلني لمنزلي نظرًا لتأخر الوقت، ولا أعلم لمَ وافقت؟ لكن ستظل هذه أحمق إجابة أجبتها في حياتي، كما أقول دائمًا: «مشوار من التجمع للشيخ زايد كان كفيلًا ليدمر حياتي، ساعة ونصف ندموني سنينًا».

حقًّا لا أعلم ما حدث، لكنني وجدتُ نفسي ودون أيةِ محاولة للسيطرة على حديثي أُخبره بكل شيءٍ منذ ميلادي، أُحدثه عن أبي وشعوري بالذنب تجاهه،

وأمي التي تولت أمرنا حتى في أبسط الأشياء، وكانت بمثابة الأب والأم معًا، وأخي الذي اعتبرته طفلي الأول، حدثته عن «بروني» كلبتي الحبيبة، والطريقة المضحكة التي بها أدخلناها إلى منزلنا رغم اعتراض أمي على وجودها، وكيف تفاجئنا بأنها أنثى بعدما ظننا لليلةٍ كاملة أنها ذكر استنادًا إلى ما أخبرنا به البائع.

حدثته عن أحلامي واهتماماتي، والكتب التي أحب قراءتها والتي أود قراءتها، والتي لم أستطع أن أحصل عليها بعد، بالمزيكا التي أُفضلها وفي أي وقتٍ أُفضلها، وبالوقت الذي لا أقوى فيه حتى على سماعها، بعشقي للكمانجا، وأنني أجدها أكثر من تشبهني من الآلات، وعن محاولاتي الكثيرة لتعلمها، حدثته عن ليليز وأن اليوم الذي يمضي دون المرور إلى هناك أشعر بشيءٍ كبير ينقصني، وأن تحضيري لعملي إن لم أنجزه بداخله فذلك لن يحدث في أي مكانٍ غيره.

حدثته حتى عن سقف غرفتي الذي يتوسطه «قلبٌ كبير»، وعن سريري الدائري وصوري التي تملأ كل مكانٍ بحجرتي، عن عشقي للسفر والتصوير ورغبتي أن يأتي اليوم الذي أغفو فيه في بلدٍ وأستيقظ في الأخرى.

حدثته عن خالد وعن العلاقة الغير مفهومة التي وجدت نفسي بداخلها دون أيةِ محاولة مني وأية رغبة فيها، وعن كل شيءٍ أفعله لإنهائها.

تحدثت معه كما أتحدث مع نفسي في نهاية كل يوم، كنت أشبه بشخصٍ حمل حقائب كثيرة لطريقٍ طويل وفي المنتصف وقبل أن يستسلم ويجلس ويترك ما في انتظاره بلحظاتٍ وجد شخصًا يقول: «عَنك».

وبينما كنت أسترسل في الحديث لم أجد منه أيةَ ردة فعل تطالبني أن أصمت، كان يُعطي اهتمامًا حتى للنفس الذي آخذهُ من حينٍ لآخر وعلى وجهه ابتسامة رجلٍ يستمع إلى طفلته الأولى في أولِ محاولةٍ منها للنطق، حتى وصلنا إلى منزلي، وهنا اعتدلت في جلستني ونظرت إليه قائلة:

فيروز:

-أنا مش عارفة ليه؟ بس كل اللي أنا طلباه منك إنك تنسى كل اللي أنا قلته وتعتبرني ما قلتوش، تصبح على خير.

وغادرتُ السيارة بأقصى سرعةٍ لدي وسرتُ باتجاه المنزل وسيطرت على نفسي حتى لا ألتفت لأتفقد رد فعله وحال وجهه، لأول مرةٍ أشعر بشيءٍ لا يمكن وصفه، لست بنادمة على ما فعلت، ولست أيضًا سعيدة بأن يعرف غريب

عني كل هذه الأشياء في ساعة ونصف فقط، لكن هناك شيئًا ينطلق من داخلي ويرسم ابتسامةً على وجهي من الأذن للأخرى، لا أعلم حقًّا ما هو؟ ثمة شيء يحدث بقلبي لأول مرةٍ يجعله يدق كعقارب الساعة.

بدلتُ ملابسي وقفزت إلى سريري لأنهي ذلك اليوم بعقلي بكافة ما حدث به، وعند الصباح كعادتي أول شيءٍ أفعله بعد أن أفتح عينيّ هو تفقد هاتفي، ربما هناك شيءٌ هام قد وصلني ويتوجب عليّ قراءته، وبالفعل وجدتُ شيئًا أهم من أي شيءٍ كنت أظنني أتفقد هاتفي من أجله، وجدت طلب صداقة منه عبر موقع التواصل الاجتماعي «الفيس بوك».

حينها قفزت الطفلة التي بداخلي على السرير من فرط الفرحة، أظن أنني بالغتُ كثيرًا في شعوري هذا، أولًا وأخيرًا نحن زملاء عمل، وأمر كهذا هو شيء طبيعي للغاية؛ خصوصًا بعد لقاءنا بالأمس والحديث الذي تبادلناه، أطلقت ضحكة كبيرة عقب جملة «الحديث الذي تبادلناه» هذه، أعني الحديث الذي ثرثرت به بمفردي، وبمجرد قدوم ليلة أمس على خاطري الآن شعرت بخجلٍ كبير، فكيف سأستطيع التعامل معه في العمل بعد ما ثرثرت به بالأمس؟ بالطبع هو الآن يراني شخصًا من اثنين والحقيقة لا يمكنني لومه على ذلك مطلقًا، إما طفلة صغيرة لا تقوى على حفظ لسانها مع أي شخصٍ ولا تعرف كيف تدير الحديث، أو فتاة مجنونة وأعتقد أن الأخير هو الأرجح.

ومثلما بالغت في رد فعلي على إرساله طلب الصداقة بالغت أيضًا في شعوري بعد أول رسالةٍ وصلتني منه فور قبولي طلبه، شعرت حينها وكأنني أعود فتاة مراهقة تراسل شابًا معها في الصف دون معرفة أهلها، عادت متأخرة إلى منزلها لأنها كانت معه، وأول رسالة وصلتها في اليوم التالي كانت منه، أشعر به يغزو تفكيري ويجعلني أرى نفسي في فتاةٍ لم أظنني قد أراني مثلها يومًا، فتاة تغلبها مشاعرها ولا تستطيع أن تسيطر على ابتسامتها أو حتى تعرف سببًا لها، لم أشعر مسبقًا بذلك الشعور الذي يجعلك تتصرف دون إدراكٍ أو حتى انتظار جواب من عقلك، تترك الأمور تسير دون أيةِ محاولة إلى استيعاب ما يحدث أو ما قد يحدث، تبتسم وتترك حواسك تنطلق جميعًا لتفعل ما ترغب به.خرجت من المنزل وذهبت كعادتي إلى ليليز وقمت بكافة التحضيرات من أجل يوم التصوير هذا، ومن ثمَّ انطلقت إلى العمل، كل ذلك وحديثنا ما زال مستمرًا ولم أشعر بالضجر للحظةٍ واحدة، الفتاة التي بإمكانها ألا تجيب على رسالةٍ من أحد الأصدقاء لأيامٍ مضمونها: «كيف حالك؟» حتى لا تضطر أن ترد عقب كلمة «بخير» برسالةٍ أخرى تقول بها: «وأنت ماذا عنك؟ » من شدة كرهها للرسائل الإلكترونية، ظلت في مراسلةٍ استمرت لساعاتٍ مع

شخصٍ لا تعلم عنه أي شيءٍ في محاولةٍ منها لمعرفة كل شيء.وانتهت الرسائل برسالة منه كتب بها: «الحمد لله على السلامة» بعد أن التقت أعيننا فور وصولي إلى التصوير.

***

حتى لو كنت عارف إن الطريق اللي هتمشيه دا طريق صعب، وشايف نهايته المأساوية من بعيد وانت لسه بتخطي أول خطوة، حتى لو كل اللي حواليك أكدوا لك إن جمال البدايات بيعمي العين وبيغفل القلب وبيضلل العقل، حتى لو شفت بعينيك بدل العلامة عشرة.

فيه إحساس لو حسيته بتستصعب ما تحسوش تاني، وساعتها بتضحك على نفسك وتقول: «مش يمكن كل دا يتغير على إيدي؟»، ودي أكتر جملة بتستخدمها أي ست بتحب، وبتبقى متأكدة كويس أوي إن مفيش راجل هيتغير علشانها ولا علشان غيرها، خصوصًا لو مش عايز يتغير، وإن قرار إنك تبدأي طريق زي دا لازم تكوني واخدة معاه قرار إنك تستحملي عواقبه وتتأكدي إنك ضحكتِ على نفسك مرة وما ينفعش تفضلي تضحكِ عليها طول الوقت.أي ست بيترسم قدامها طريق لسعادتها حتى لو كان طريق وهمي بتقرر تمشيه علشان ما يجيش اليوم اللي تقول لنفسها فيه يا ريتني كملت! هتندم بقى إمتى إنها مشيته؟

دا بقى بيختلف من ست للتانية، أو بمعنى أصح على حسب المعدل اللي بيستنفد به الطرف التاني طاقتها، فيه اللي هتمشي بعد سنة، وفيه اللي هتمشي بعد اتنين، وفيه اللي مش هتستحمل تيجي على نفسها أكتر من يوم واحد، ودي بقى اللي فهمتها بدري بدري ودايمًا هتكسب.كل حاجة كانت باينة لي من البداية بس أنا اللي كنت حالفة ما اشوفهاش، كنت مبهورة بالخطفة اللي اتخطفتها، يمكن علشان كنت فقدت الأمل خلاص إني أعيشها ورضيت باللي قلت إنه اتكتب لي أعيشه، رضيت باللي حبني وقلت مسيري هيجي اليوم اللي أحبه فيه، وإن ما جاش الحب بتاع الأفلام والمسلسلات فعلى الأقل هيجي حب العشرة والسنين والأطفال اللي هتكون ما بينا، على قد ما كنت بستمتع بالحب بتاع الروايات وأساطير الحب الأفلاطوني اللي ما بيجيش في العمر غير مرة بس عمري ما آمنت به، ولا آمنت إنه في يوم هيجي لي، ولا آمنت إن ممكن يجي اليوم اللي هتمنى فيه راجل وهتمنى إني أكمل معاه بقية حياتي، وأحس معاه بفرحة كل حاجة ما حسيتهاش لما كنت

مع خالد، وتتحول معاه سلبيتي في اختيار كل حاجة لإيجابية وزن كمان علشان أعمل اللي أنا عايزاه.

علشان كدا أول خطوة أخدتها هي إني مشيت من حياة خالد للأبد، تلكيكة بسيطة وانسحبت، شفت نفسي وحشة أوي باللي عملته ده، بس كنت هشوف نفسي أوحش لو كملت معاه وانا قلبي مايل لناحية تانية، في البداية ما كانش مستوعب اللي حصل دا كله، يعني، كان شايفها زيها زي كل مرة قلت فيها همشي واتراضيت بكلمة حلوة أو ببوكيه ورد في أول مقابلة ما بينًا، بس عدم استيعابه دا ما استمرش كتير وقدر يفهم إن فعلًا كل حاجة كدا خلصت، وإن المرة دي غير أي مرة، فكان أفضل حل إنه يستسلم لقراري.

كنت هشوف نفسي أنانية أوي لو عرضت عليه نكون حتى أصدقاء؛ علشان عارفة إني هبقى بأذيه واني عمري ما هكون بالنسبة له صاحبة، علشان كدا انسحبت تمامًا رغم حزني الكبير على خسارته، بس ما حدش بياخد كل حاجة، ومش من حقي أحرمه من إنه يعيش مع بني آدمه تدي له كل الحب اللي أنا ما قدرتش أديهوله ويستاهله.

في الوقت دا كان «علي» بيعمل لي كل حاجة تخليني أحس إني طايرة ورجلي مش على الأرض، كان بيشاركني في كل حاجة، دا حتى شاركني في « ليليز»، ابتدا يجي معايا كل يوم ويفضل يتفرج عليا وانا بشتغل، دايمًا نظرته كانت نظرة أب لبنته مش نظرة واحد لواحدة، يمكن دا أكتر شيء حبيته فيه؛ إنه حسسني بنفس الأمان اللي كنت بحسه مع أبويا الله يرحمه، كان بيسيبني أتكلم عن أحلامي وطموحاتي وفي نهايتها يطمني إن كلها هتتحقق، ابتدا يجيب لي كتب عن السينيما والفن ويقول لي: «يلّا ذاكري علشان يوم ما تبقي مخرجة كبيرة تبقي تشغليني»، بقيت بتكلم معاه كأني بتكلم مع نفسي وأقول له اللي مزعلني منه، كلمته أكتر عن الأزمة اللي ملزماني بسبب أبويا وإحساسي بالذنب اللي بيفضل ملازمني كل ما افتكره، شاركته في مشاكل البيت وفي مشاكل أخويا وبإحساسي طول الوقت بإني مسئولة عنه ومش عارفة أعمل إيه علشان يكون كويس وأحس إني ما قصرتش معاه.

شاركته في كل كبيرة وصغيرة في شغلي، مشاكل الممثلين والإنتاج والإخراج، وهو كان بيسمع من غير ما أحس منه بأي زهق أو ملل من إنه يسمع اللي ما يخصوش، كانت لما تحصل لي مشكلة في التصوير ودا دايمًا بيحصل أجري عليه وأعيط له زي العيلة الصغيرة اللي أول ما بتقع تجري على باباها لحد ما يضحكني واهدا أو لحد ما يحلها لي، وكنت بحس إنه دايمًا فرحان إني

محملة عليه ومشيلاه مسئوليتي، كنت كل ما أبص له ألاقيه باصص ناحيتي ويبتسم لي وعينه بتلمع كأنه عمره ما شاف ولا هيشوف واحدة غيري.

اللي كان بيعمله دا كله كان بيزود غروري إن مفيش واحدة تانية هتملى عينيه مهما عملت، وبيطمني إني مش زي أي واحدة دخلت حياته.. وإن فعلًا الحب قادر يغير أي راجل ويبدله عكس كل اللي اتقال لي عنه، واللي لسه بيتقال لي من كل فرد بيلاحظ اللي ما بينا، واللي ملخصه إنتوا مش شبه بعض والحكاية دي استحالة هتكمل، بس كل اللي بيتقال لي قصاد اللي بيعملهولي كان ولا أي حاجة، بيدخل من هنا ويخرج من الناحية التانية.

وقدر يكون فعلًا كل حاجة في حياتي ويومي ما بيعديش غير بوجوده، حسيت إني عايزاه معايا في كل حاجة، حسيت إني عايزه أبقى حبيبته ومراته وعايزة أخلف منه، ودا اللي عمري ما حسيته مع أي راجل في الدنيا.

يمكن علشان مفيش راجل في الدنيا عرف يخطفني الخطفة دي، وعرف يفاجئني بالشكل اللي كنت بتمناه، ويمكن علشان فعلًا حبيته بقيت بشوف أبسط شيء بيعمله بالدنيا واللي فيها، ودا اللي كان صعب أتقبله من أي حد.

لما حكيت لأمي فرحت وتَجاهلت كل اللي توقعث إنها تعترض عليه وأولهم سنه، لنفس السبب؛ إنها كانت فقدت فيَّا الأمل إني أحب واتحب زي أي بنت في الدنيا، وإن صعب إن أي راجل يملا عيني وأحس إني عايزة أكمل معاه، وبقيت بشاركها كل اللي بيحصل ما بينا علشان فرحتها وهي شايفة إن عينيا أخيرًا بتلمع وانا بتكلم عن حد بحبه وعايزة أكمل معاه.

وبعد وقت مش طويل اعترفنا لبعض باللي جوانا، ما حدش فينا كان مستغرب لإن اللي ما بينا كان واضح لدرجة إنه ما كانش محتاج يتقال، بس بعد كدا اتأكدت إنه كان لازم يتقال؛ لأني اكتشفت إن كلمة بحبك من شخص بتحبه فعلًا هي أجمل كلمة ممكن تسمعها في حياتك.

وابتدت الحدوتة اللي اتمنيت ما تنتهيش أبدًا.

(10)

المنصورة

لستُ وحدي؛

قلبي معي.

أعلمُ جيدًا أن القرارات التي تأتي عقب انتهاء أيةِ علاقة ليست صحيحة مئة بالمئة؛ لأنها تأتي تحت تأثيرعدة دوافع لا ندركها سوى في مرحلة ما بعد الانهيار، فبعد الفراق تلجأ المرأة لشيءٍ من اثنين؛ إما المكابرة وإظهار عكس ما تشعر به من خزلان وعادة ما ينقلب ذلك آجلًا أو عاجلًا لثورةٍ من الحزن لن تستطيع السيطرة عليها بشكلٍ أو بآخر، أو باختيار الحل الأمثل وهو ترك نفسها لكل شعورٍ سيء يأتي من داخلها ليصل بها لأقصى ما لديه، وهنا وبعد تخطي تلك المرحلة بإمكانها أن تقول ها قد شُفيت.

أما أنا فقررت ألا أسير في أيٍّ من الطريقين، لا بتجاهل ما يحدث بداخلي الآن ولا بترك الحزن يهزمني ويمكث معي أكثر مما أستحق، فإن توجب الحزن على شخصٍ فمن الظلم أن يكون هذا الشخص هو أنا.

لم أكن بحاجةٍ لشخصٍ كامل لأحبه، كنت بحاجةٍ فقط لشخصٍ واضح، صريح، يعلم شيئًا ولو بسيطًا عن الحق، العدل والصدق.

وهذه أبعد صفات من الممكن أن تتواجد في شخصٍ استصعب طريق الحق، واستبدله بالوقوف في صف الباطل والدفاع عنه.

منذ قرابة شهرٍ جاءني مصدومًا للغاية من حادثةٍ رآها بعينيه وأصبح طرفًا بها عن غير قصد، كان ينتظر أن آخذه بين ذراعيّ، وألتمس له عذرًا غير قادرٍ على أن يلتمسه هو لنفسه.

أحد أساتذته بالجامعة حاول أن يتحرش بأعز صديقاته التي لم تفكر في الاستعانة بأحدٍ غيره حين شعرت بخطرٍ يقترب منها، فبمجرد أن ناداها الأستاذ إلى مكتبه شعرت بشيءٍ من الريبة لذا طلبت منه أن يذهب معها، وبمجرد أن رآه حاول التخلص منه بشكلٍ يتضح للأعمى، ولكن على حد قوله لم يكن شيئًا بيده سوى قبول طلبه والتوجه إلى المكتبةِ بحثًا عن أحد المراجع واستخراج بعض المعلومات كما أمره، ومن ترتيبات القدر أن بعض أنواع الصيانه الكهربائية كانت تحدث بالمكتبة في ذلك التوقيت لذا لم يتمكن من الدخول، فعاد مسرعًا لأنه يعلم جيدًا أي نوعٍ من الرجال هذا الأستاذ، وبالفعل ما توقعه وتوقعته هي أيضًا حدث، ففور اقترابه من الباب سمع صوتها تصرخ بصوتٍ مكتوم أشبه بالأنين، الأمر الذي جعله يتخطى خطوة طرق الباب وقام بفتحهِ مباشرة ليجد الدكتور يضع يده على فمها ويحاول التمكن منها، وبمجرد أن رآه ابتعد عنها وبمنتهى القذارة هدد كليهما بالحرمان من امتحان المادة الخاصة به إذا تفوها بأي شيءٍ دون أي شعورٍ ولو بسيط بالخجل.. فاقترب مالك من البنت وحاول إسنادها ليخرجها من هذا المكان

المقزز، وأثناء خروجهما ناداه الدكتور فأخرجها بعد أن بصقت في وجههِ ومن ثمَّ عاد إليه، وهنا ازدادت قذارة الأستاذ التي لم تنتهِ بعد، فأغرقه بسيلٍ من التهديدات من بينها الحرمان من الدراسة بأكملها مستغلًا أن هذا هو عامه الأخير في الجامعة وعليه أن يحافظ على تعب السنوات الماضيه، ووعده بتقديرٍ مرتفع في مادته، كل هذا مقابل أن يقفل فمه، فهو يعلم جيدًا أن فتاة كـ تارا لن تتنازل عن حقها مهما كلفها الأمر.

وهذا بالفعل ما قد حدث، فبعد أن خرج من المكتب لم تسأله عن أي شيء، وبينما هي غارقة في دموعها أمسكت يده وطلبت منه أن يتوجها لتقديم بلاغٍ بما حدث لكي تسترد حقها وينال هذا اللا أستاذ العقاب الذي يستحقه لما ألحق بها من أذى نفسي ومعنوي.

لكنها لم تتوقع أن يترك يدها بتلك البساطة قائلًا: «مش هقدر أعمل كده، إحنا مش قده ولا قد اللي يعرفهم».

وباقي الحديث تمكنث من استنتاجه؛ حيث لم يتمكن هو من استكماله بسبب تلك النظرة التي ألقيته بها عن غير عمدٍ فور سماعي لرده عليها، حينها لم يأخذني عقلي للتفكير في أي شيءٍ سوى شيءٍ واحد، ماذا لو كنت أنا تلك الفتاة؟ ماذا لو شعرت أنني كنت أتكأ طوال سنواتي الماضية على حائط مائل مرآة عشمي جعلتني أراه معتدلًا؟ ماذا لو وضعت ثقتي فيمن لم يستحق واكتشفت ذلك بمحض صدفةٍ سيئة كهذه؟

أنا أكثر من يعلم بطبيعة العلاقة بين مالك وتارا، والتي لم تقف عند نقطة الصداقة فقط، بل تطرقت في وقتٍ ما لشيءٍ آخر ظنا كليهما أنه حب، بل وقصة حبٍ لا مثيل لها لشابٍ تائه وفتاة بإمكانها أن تصف له ما يشعر به في الوقت الذي يعجز جميع من حوله بل وهو أيضًا عن وصفه، علاقة صداقة شعرت الفتاة أن بإمكانها أن تنقلب لحب، صارحته بما تشعر فلم يجد سبيلًا للهرب من ذلك؛ حيث أنها ملجأه الوحيد الذي من الممكن أن يفقده للأبد إن عارض حماسة مشاعرها، فهو يعلم جيدًا أن أقرب طريقٍ تسلكه أية فتاة لو شعرت بأن الحب لم يأتِ سوى من طرفها هي فقط هو الانسحاب، الأمر الذي كان بالنسبةِ له أشبه بالموت حينها، فكانت الدنيا بالنسبةِ له في كفة وهي بالأخرى.

لكن الأمر لم يستمر طويلًا؛ فسرعان ما عادت إلى عقلها وأخبرته أنها كانت مخطئة بذلك، فلم يكن ما شعرت به سوى عدم إدراكٍ لقربهما الزائد ولحديث الجميع بأن الحب الأسطوري يليق بعلاقةٍ كالتي بينهما، ربما كانت بحاجةٍ

لعيش لحظاتٍ كهذه فقط، وربما لم يكن ما بداخلها سوى احتياجٍ للحب.

بالطبع كل هذا حدث قبل أن أصبح إلى جواره، والغريب أن العلاقة التي بيننا نشأت عن طريق تارا، بل بإمكاني أن أقول أنها من سعت لتصل بنا إلى هذه النقطة، فهي ابنة إحدى صديقات أمي المقربات التي تكبرني بثلاث سنوات، وفور حصولي على شهادة الثانوية العامة ودخولي إلى الجامعة كلفتها أمي بتولي أمري نظرًا لحرصي الشديد وعدم رغبتي في التعامل مع من حولي، فمنذ عامين كنتُ أخجل حتى إن قال لي غريب صباح الخير.الأمر الذي لم يستمر طويلًا بفضلها هي فقط، ففور التحاقي بالجامعة شاركتني في كل شيء، وعلى الرغم من أننا لم نكن في نفس الصف إلَّا أنها سعت بأقصى طاقةٍ لديها لتُصبح إلى جواري دائمًا.. ومن ثمَّ عندما علمت بمدى حبي للتمثيل رغم خجلي الشديد ألحقتني بمسرح الكلية، ومن هنا اقتربت من مالك الذي كنت أراه بين الحين والآخر ومن بعيد، في بداية الأمر أعجبتني العلاقة التي بينهما مما جعلني أتسائل لمَ لم يصبحا يومًا حبيبين؟ وهنا سردت لي القصة، وأكدت لي أن علاقة الصداقة التي تجمعهما الآن أقوى ألف مرة من أيةِ قصة حب كان بإمكانها أن تعيشها معه، ما زلت أتذكر ما قالته حينها...

تارا:

-مالك ينفع يبقى صاحب جدع جدًا وصديق مثالي زي ما الكتاب بيقول، بس معايا ما عِرفش يبقى حبيب، فيه فرق كبير بين المشاعر اللي هتاخديها من راجل بيحبك، وبين أي مشاعر تانية هتاخديها من راجل صاين بس وجودك في حياته علشان شايل لك وقفتك جنبه في قلبه وفوق راسه، بس الست ما بتبقاش عايزة تحس بالامتنان قد ما عايزة تحس إنها بتتحب، بتتحب بجد مش تأدية واجب والسلام.. علشان كدا حسيت إن المشاعر اللي هاخدها منه وانا صاحبته أكرم لي ألف مرة من أي مشاعر هاخدها منه علشان بس يحافظ على وجودي.

ملاذ:

-أفهم من كدا إنك سيبتيه وانتِ بتحبيه؟

تارا:

-هتصدقيني لو قلت لك إني اكتشفت إني ما حبتوش أصلًا؟

عارفة لما تحسي إنك محتاجة تهربي بمشاعرك من الضلمة اللي بقيتي فيها فتلاقيها بتاخدك على أقرب شارع نور حافظة سكته؟ أنا عملت كدا أول ما

وقعت جريت على مالك، جريت علشان ما كانش حد موجود وقتها غيره وانا لا كان عندي حمل ولا طاقة تخليني أقول لأي حد تاني اتفضل، كنت مُستنفدة، أنا فضلت سنين بطلة حدوتة وهمية أنا اللي صنعتها بإيدي، وشكلت بطلها زي ما كنت أحب أو أتمنى إنه يكون، بس من غبائي نسيت إن أنا اللي عملت كل ده، أنا اللي عملت بطل من ورق، أنا اللي من أول لحظة شفته فيها ركّبت له أجنحة واعتبرته ملاك نازل من السما للأرض في رحلة وربنا اختارني أشاركه فيها فحطني في طريقه، كان أول حب في حياتي، أول راجل أفتح له الباب وأقول له هكون بيتك وراحتك وأمانك، حبيته، حبيته للدرجة اللي ممكن تخليني أقول إني عمري ما هعرف أحب راجل في حياتي بالشكل ده، أصله أخد وش القفص زي ما بيقولوا، قش كل الحلو اللي كان ممكن يتوزع على كتير أوي ويفيض، كنت بصحى الصبح أقول يا رب أحضنه وأجلي لو جالي من بعدها أنا راضية بس أحضنه وابقى معاه إن شاالله يوم، ساعة، وحصلت وبقيت في حياته بالصورة اللي كنت أتمنى أكون موجودة بيها وبقيت حبيبته.

ومن بعدها شُفت أسوء سنين في حياتي، ومن غبائي لتاني مرة شفتهم تأهيل للحلو اللي هشوفه معاه قدام، اديته أضعاف ما كنت بدي له ومشيت له بدل الخطوة ألف من غير ما اعرف إن كل خطوة بمشيها هيمشيها لي عشرة بس مشرط على قلبي، ما كُنتش عارفة إحنا إيه؟ ممكن يصحى من النوم في يوم ويقرر إن وجوده في حياتي غلط لا في مصلحتي ولا في مصلحته، ويوم تاني يجي لي ممتن للحالة الحلوة اللي عايشها معايا، يوم شايلني فوق راسه، ويوم حاطط قلبي تحت رجله وماشي ولا همه.

مش هعمل جامدة وقوية واقول لك إني كنت بعرف آخد موقف، أنا عمري ما عرفت أعمل دا معاه.. كان آخري أبطل أكلمه كام يوم بقعدهم في أوضتي أندب حظي وأكمل بحيرة العياط اللي فتحتها في قلبي من يوم ما عرفته، لحد ما اهدا والاقيني برجع له مكان ما سيبته آخر مرة وبلاقيه سايب لي الباب موارب كأنه متأكد إني راجعة، وهو كان آخره في محاولته إنه يرضيني إنه يبقى كويس معايا ليومين تلاتة ويرجع زي ما كان دا لو ما كانش أقسى، الغريب إن عمري ما عرفت أقطر له مشاعري حتى وانا زعلانة منه، دايمًا كان بيلاقي مني سيل للدرجة اللي تخليه شايف إن دا العادي والمفروض، لحد ما وقعت مشاكل كتير حاوطتني في البيت وبرا البيت ومالقتهوش جنبي، لاقيت كل الناس الغريب قبل القريب وهو سايبني تايهه في بحر الإهمال اللي رماني فيه من يوم ما عرفته تحت حجة الظروف اللي بتتغير علشان أي حد إلا أنا، ومع ذلك لازم أستحمل وأقدر علشان أنا غير أي حد في حياته، أنا اللي ما

جاش ولا هيجي زيي في قلبه.. حبة كلام معسول إذا كان هيرضيني وانا دنيتي ماشية وحياتي متظبطة عمره ما هيرضيني وانا حياتي بالشكل اللي كانت فيه ده، وقت ما بنقع ما بنحتاجش كلمة بتتبعت من موبايل لموبايل في لحظة، إحنا بنحتاج ضهر يقول لك أنا معاك وساندك، ووقت ما بنقوم ما بنفتكرش غيره.

ودي كانت بداية النهاية، من اليوم دا بطلت أشوفه في صورة البطل اللي كنت رسماها له طول الوقت، وصدقت إن الورق أي حد في الدنيا يقدر يشكله زي ما يحب، شفته أبشع من إني أكمل معاه.. شفته بني آدم مالوش لا قلب ولا مشاعر وما يعرفش يحب غير نفسه.. الأغرب بقى من اللي فات دا كل إني فضلت مكملة مش عارفة ليه، قبل الفترة دي كنت دايمًا بدي له مبرر لأي حاجة؛ لإني شايفاه أكبر بكتير من أي غلط، وأجمل بكتير من أي وحش ممكن أظنه فيه، كنت شايفاه أحسن راجل في الدنيا فبحبه، بس بعد اللي حصل دا كله لاقيتني حتى وانا شايفاه أبشع راجل في الدنيا برده بحبه، وبدور فيه على أي حلو يمكن يكون متداري علشان أفضل أحبه، وزودت على السنين اللي عدت ما بينا كمان سنة فضلت أرقع فيها في الدايب لحد ما القماشة اتهرت وإيدي أنا كمان اتهرت، بس ما كانش بيدِّي لي حتى فرصة ولو بسيطة أكبَّر بيها كدبتي جوايا وأصدق إن لسه عنده جزء في قلبه ما عششتش فيه القسوة، وبعد كل دا جه وقال لي بمنتهى البساطة:

-«أنا عارف إني آذيتك، ينفع نحافظ على علاقتنا ونبقى أصحاب؟».

فجأة دماغي لفت والدنيا اسودت وكل اللي قدام عينيا بقى بيتشال ويتدغدغ ألف مرة وهو في مكانه.. ولقيتني بقول له:

-«أصحاب؟ إنت مدرك اللي انت بتقوله؟

مُدرك إن بعد السنين اللي ضاعت مني دي كلها، واللي استحملتها ظنًا مني إني بحطها في علاقة مشيت كل خطوة فيها بقلبي مش بعقلي وانت جاي تقول لي دلوقتي إن كل دا كان في الهوا؟

إنت اللي تعبت؟ ولا تكونش زهقت؟ زهقت من كتر ما بتاخد وعايز تدور على حد غيري تدِّي له اللي حرمتني منه أو يمكن تكون عايز تدِّي له كل اللي ادتهولك واستخسرت ترجعه لي، أو جايز تكون عايز ترجع لفترة الاستعباط اللذيذة والمشاعر اللي مالهاش تفسير وردود الفعل التلقائية والجمال اللي كلنا بنشوفه في البدايات بإنك تقول لي يلَّا خلينا أصحاب باعتبار إن أنا الشخصية اللي استحملت منك كل حاجة في الدنيا فجت على دي يعني؟! كبيري إيه

يعني؟ يوم، اتنين، عشرة، هقول لك فيهم مش هينفع وانا هخرج من حياتك ومع أول ذكرى هتكعبل قلبي في أي شارع من شوارعنا هرجع لك وأقول لك أنا قابلة وراضية، وتفضل تاخد في حلو وتسيب لي أنا العلقم، ولو اشتكيت تقول لي مش من حقك، ولّا نسيتِ إن احنا أصحاب؟!

أكتر راجل ظالم شفته في حياتي، وعلى قد ما حبيتك على قد ما قدرتش أشيل عن قلبي الكره اللي ملاني من ناحيتك، دا أنا لو بسقي السنين دي كلها في صبار ما كانش هيهون عليه شكتي، بس ربنا عادل، دا كاس وداير وانا مش مسامحة في حقي، ولا مسامحة في كسرة قلبي ونِفسي».

وفي اللحظة دي وبعد سنين من كترها مش فاكرة عددها عشت معاه فيها الوحش قبل الحلو واستحملت منه اللي ماكانش حد غيري هيستحمله، قررت إني مش هكون موجودة في حياته تاني وكنت قد قراري وما حسيتش لحظة إني ندمت عليه.

فمش هضحك على قلبي واقول إني عرفت أحب بعده؛ علشان أنا لحد اللحظة دي قلبي ما شافش غيره.

بس الفرق بين دلوقتي وبين زمان إني عارفة إني هحب، وشايفة إني أستاهل إني أتحب، وواثقة إن دا هيحصل بس قبل دا كله لازم أداوي قلبي.

ملاذ:

-يااااه يا تارا! إنتِ شايلة كل ده؟!

تارا:

-بالعكس، أنا يمكن وقتها كنت شايلة، أنا من يوم ما بعدت وحملي خف لدرجة إن حياتي بقت فاضية وبحاول أشغلها بأي جديد زي ما انتِ شايفة.

ملاذ:

-بس إنتِ عملتِ الصح.

تارا:

-كان متأخر أوي، عارفة إيه الإحساس اللي كان مسيطر عليَّا وقتها؟

ملاذ:

-إيه؟

تارا:

-إني كنت حاسة إني متخانة بس مش عارفة من مين؟ منه ولا من الدنيا ولا من مشاعري اللي صدقتها ولا من قلبي اللي غفلني ولا من عقلي اللي سمع الكلام وبعد عني أول ما طلبت منه ده.. ولا من أهلي اللي ما كانوش حاسين بكل اللي كنت فيه وضاغطين عليًا أكتر؟

إحساس الخيانة دا إحساس وحش، خصوصًا لو حسيتي إن إنتِ أول اللي خانوكي، أنا عمري ما حسيت إن الحب ذنب هحتاج أكفر عنه بعدين حتى بعد ما كل حاجة انتهت ولاقيت مشاعري وحياتي مهلهلة مالهاش لا ضابط ولا رابط ولا عارفة الحزن دا كله هوديه فين؟ بس أنا كنت متأكدة إن فيه ضريبة لازم هيدفعها كل بني آدم عن سوء اختياره، فيه اللي هيدفعها سنين من عمره ضيعها مع بني آدم ما يستاهلش، وفيه اللي هيدفعها سنين لسه هيضيعها وهو بيندم على اللي راح منه هتطول على قد ما كان يستاهل، وفيه اللي هيقف محلك سر ومش هيتحرك من مكانه.. وفيه اللي هيتحرك بسرعة الصاروخ بس في الطريق المخالف، فيه اللي هيركب القطر الغلط، وفيه اللي هيخاف من القطر الصح.. فيه ضريبة لازم هتدفع، الفكرة بقى إن واحنا بندفعها نبقى حاسمين قرار إن دي هتكون آخر مرة.

فتاة كتارا، عانت ما عانته وتعرضت للخزلان من جميع من حولها، الشخص الوحيد الذي أحبته، والصديق الذي لم تأمن أحد غيره، وعائلة لا تشعر بكل هذا.. وأصدقاء يختفون تباعًا واحدًا تلو الآخر.

كيف من الممكن أن تكون الآن؟

ما زلت أتذكر جيدًا محاولتها المميتة لتجمعني بمالك، الشيء الذي لم يتبين لي في بداية الأمر.. لكنه أخبرني به بعد ذلك قائلًا:

«خطفتِ قلبي من اللحظة اللي سمعت اسمك فيها، وقلت إني هيكون لي نصيب من اسمك في أول مرة شفتك».

كنت ساذجة للغاية ولم أدرك أن كل شيءٍ مُرتب في أول مرةٍ اجتمعت أنا وهو على انفرادٍ بعد أن رأيته عدة مراتٍ من بعيد، كنت أشعر دائمًا بأنه يرغب في خلق حديثٍ معي، في بداية الأمر ظننت أنني أتهرب من ذلك اعتقادًا أن هناك شيئًا بينه وبين تارا، ولكن حتى وبعد أن تحدثنا في ذلك وجدتني أتهرب من أي نقاشٍ يحاول أن يجعلني طرفًا فيه أثناء وجودي معها، حتى جاء اليوم الذي أخذتني فيه تارا من يدي إلى مسرح الجامعة وأخبرتني أن بروفات

تحضيرات الجديد ستبدأ من اليوم ولا بُدَّ من حضوري إن كنت أرغب حقًّا في الانضمام إليهم، وفور وصولي لم أجد أحد سواه، ومن هنا بدأ كل شيء.

مالك:

-إزيك؟

ملاذ:

-الحمد لله، هو أنا جيت بدري؟

بتردد أجاب

مالك:

-لا هما اللي متأخرين.. إنتِ واقفة ليه؟ اقعدي يمكن يتأخروا.

ملاذ:

-طب همشي أنا و...

مقاطعًا قال مالك:

-ووارد يجوا أول ما تمشي، أنا بقول الأحسن إنك تستني أحسن، إنتِ لسه سنة أولى مش كده؟

ملاذ:

-آه، وانت تالتة مش كده؟

يبتسم ابتسامة عريضة ويحرك رأسه إيجابًا.

ملاذ:

-تارا قالت لي.

مالك:

-بتمثلي من إمتى؟

ملاذ:

-عمري ما مثلت، بس حاسة إني بعرف، من وانا صغيرة بيقولوا لي كدا بس عمري ما حاولت.

مالك:

-وإيه اللي شجعك تحاولي دلوقتي؟

ملاذ:

-إني عايزة أتغير، محتاجة أبقى أجرأ وأمتن واعمل كل اللي نفسي فيه.

مالك:

-وانتِ شايفة إن التمثيل هو اللي هيخليكِ تعملي كل ده؟

ملاذ:

-على الأقل هيخليني أحط رجلي على أول اللي كان نفسي فيه.

مالك:

-أحلامك بسيطة أوي.

ملاذ:

-مش بسيطة على واحدة لو كنت قلت لها إزيك قبل شهرين ما كانتش هتقدر حتى ترد عليك، مش تقعد تتكلم كدا في مكان مقفول عليها مع واحد لا تعرفه ولا يعرفها.

يبدو على مالك الاستغراب والحرج.

ملاذ:

-معلش أنا دبش شوية في كلامي، بس أنا ممكن أسكت خالص.

مالك:

-بالعكس أنا حابب أسمعك، أنا مش متضايق.

ملاذ:

-بس أنا ما عنديش حاجة أقولها.

مالك:

-قولي أي حاجة.

ترد بنظرة استغراب.

مالك:

-طب لو مش هتقوليي أنا ممكن أقول أنا، أنا بقى مش زيك لسه بحاول أكسر

كسوفي، أنا بِجح من زمان وكل اللي في حياتي عارفين دا

وأولهم تارا تقدري تسأليها، بصي يا ستي أنا أكتر حاجة بصدقها في حياتي هي مشاعري، بمشي وراها منين ما تقول لي حتى لو هتوديني في ستين داهية، بس أنا المرة دي مصدق إنها مش هتاخدني غير للبراءة اللي شايفها بتلمع في عينيكِ، واللي قالت لي من أول لحظة شفتك فيها إني هيكون لي نصيب من اسمك اللي ما صدقتش إني أخيرًا لاقيت واحدة يليق بيها، أنا عارف إن زمانك بتقولي دلوقتي في دماغك الاسطوانة دي هتخلص إمتى؟ وعايزة تاخدي بعضك وتجري.. بس أنا عندي إحساس بيقول إنك هتسمعيني للآخر علشان في حاجة جواكِ هتترجاكِ تسمعيني، يمكن علشان اللي بقوله دا حقيقي من قلبي فهتصدقيه أو يمكن دا هيحصل لو جربتِ تبصي في عينيا وبطلتِ ترمي نظراتك في الأرض وتنصريها عليا.. أنا مش جاي أقول لك إني بحبك علشان أنا مش مراهق هيقول كلمة مش مقدر ولا فاهم معناها، بس أنا عارف إني هحبك علشان الخطفة اللي اتخطفتها لما شفتك مالهاش أي معنى تاني، أنا يمكن يكون اللي بقوله دا كله علشان أنا مقدر قيمة الإحساس دا كويس وعارف يعني إيه تفضل تلف وتدور حوالين نفسك علشان شعرة من راسك وما يحصلش، وتيجي واحدة من غير أي مجهود تشقلب لك كل قناعاتك وتبوظ لك شخصيتك اللي عشت ترسمها لنفسك طول الوقت ومقرر إنك مش هتحيد عنها حتى لو كانت اللي قدامك ملاك نازل من السما ومتسخر بس علشان يسرق قلبك، أنا مش بقول كلام كتب وروايات علشان أنا الكلام دا طول عمري بحفظه وبمثله لكن ما بصدقهوش، أنا بقول لك كلام طالع من قلبي وانا متأكد إنه لو دخل قلبك تبقي صدقتيني.

ملاذ:

-أنا...

مالك:

-إنتِ أحلى من كل اللي شافته عيني.

لا أعلم كيف يحمل الإنسان مشاعر كهذه ويخرج من وراءها كل ما حدث، فالموضوع لم يتوقف فقط عند رفضه للوقوف إلى جوار تارا لكي تتمكن من استرداد حقها، بل الأصعب من هذا أنه قدم شهادة زورٍ في حقها وأنصف ذاك الدكتور القذر عليها وعلى كل من فعل بهن ذلك.

فلم أعد أنظر إليه النظرة ذاتها، كيف لي أن أخبره كما السابق أنه أجمل رجلٍ

رأته عيناي وهو أجبن رجلٍ من الممكن أن تراه عيناي وأي عينٍ أخرى، كيف لي أن أخبره مرارًا أنني لا أرى أي عيبٍ فيه سوى أنه يجعلني كل يومٍ أحبه كما لم أحب أحدًا يومًا وهو بهذا السوء؟

حقًّا سبحان الذي بيده القلوب يوجهها حيث يشاء وينفرها ممن يشاء!

كنت بحاجةٍ لأحدٍ يشاركني ما أشعر به الآن لكنني لم أجد، حتى هؤلاء الأشخاص الذين منحتهم الثقة وأدخلتهم حياتي بعدما كنت أخشى حتى اقتراب اللا شيء أكدوا لي كم كنت محقة في السابق؛ فجميعهم قد أتوا لحياتي في صورة دروسٍ وعبر ولم يأتِ أحد على سبيل العوض سوى تارا، ولكن جرحها الآن أعمق من جرحي بكثير لدرجة أن لا أحد منا بإمكانه أن يربط على كتف الآخر، كل يبكي بطريقته على حاله ولا يطلب من الله إلا رحمة النسيان.

***

أكتر حاجة مأكدة لي إني هقدر أعدي من أي حاجة وحشة تقابلني في حياتي اللي جاية إني بعدِّي الفترة دي بطولي، لوحدي، من غير لا داعم نفسي ولا معنوي من أي حد.

كل اللي حواليا كان ردهم عليا بعد اللي حصل حاجة من اتنين: يا إما «قلنا لك من البداية إنه ما يستاهلش وانتِ ما سمعتيش الكلام فاشربي» أو «شيء متوقع كلنا كنا عارفينه ومستنيين يحصل».

ما حدش فكر ياخدني في حضنه ويقول لي معلش، يقول لي حتى لو هو ما يستاهلش إنتِ تستاهلي فما تزعَّليش نفسك وتوجعي قلبك، ما حدش فكر يقول لي حتى أزمة وهتعدي.. أو حتى يديني ثقة في نفسي ويقول لي قد إيه أنا جميلة بمشاعري وكان لازم أقدرها بالبعد.

طب أنا غلطت في الاختيار؟!

اعتبروني عيلة وغلطت، حبة رحمة على شوية طبطبة مش كله ضرب ضرب! دا حتى يبقى حرام، أنا قاعدة بدادي في روحي واقول لها إنتِ جامدة وهتعدي من كل ده، ليه تخرشموني تاني بكلام مالوش لازمة؟

إيه! الكل صدق إني جامدة بجد فقرر يديني فوق دماغي أكتر؟ دا أنا حتى أمي صدقت كل حجة بقولها لها لما تدخل عليا وتلاقيني بعيط..

محدش فهم إني بكذب وسألني عاملة إيه؟ وجرب يديني فرصة أنهار.أنا حتى مش عارفة الانهيار دا بيكون إزاي؟

من كام يوم نزلت من البيت ولاقيت ضربات قلبي زادت أوي والدنيا اسودت في عيني قلت يمكن من قلة الأمل، قلت يمكن لو ظبطت حياتي واديت لنفسي فرصة جديدة في شيء بحبه كل اللي جاي يتعدل، بس حتى وانا بعدل المايل.. بتيجوا بكلمتين تميلوا لي المعدول.كنت كل مرة بنتخانق فيها ببقى عارفة إننا هنرجع تاني، كل خلاف من خلافتنا كان بيقوي علاقتنا ما بيضعفهاش.. بس المرة دي أنا عارفة إن كل حاجة خلصت ومش معشمة نفسي حتى في معجزة تيجي تلم الشمل من تاني؛ علشان أنا اللي ما بقيتش عايزة.

بس هو كتر خيره قبل ما يمشي ساب لي وجع قلب وكسرة نفس في كل حتة كنت بهرب لها.حتى خشبة المسرح اللي كانت بتطمني؛ ريحته عليها بقت سابقة ريحتي كل ما أفكر أخطي خطوة ناحيتها.أنا عايزة أخف من اللي أنا فيه دا كله، عايزة أخف من سيرته ومن ربطه بكل حاجة، عايزه أخف وقلبي ما يوجعنيش كل ما يقولوا قدامي رقم اتنين وافتكر أن دا عدد معالق السكر اللي بيحطها في الشاي..

عايزة أخف ومفيش إيد واحدة بتتمد لي وتقول لي مش عايزة أشوفك كده.عمر ما فترة عدت عليا وحسيت فيها إن أنا لوحدي زي الفترة دي، وعمري ما حسيت بتوهة زي اللي أنا حاسة بيها دلوقتي..

بس ما بحاولش أأقاوح وأقول إني كويسة على الأقل قدام نفسي، إذا كنت بقولها للي في حياتي فأنا بقولها علشان أديهم فرصة يكدبوا الهم اللي شايفينه في عيني ويلفوا ضهرهم وهما بيضحكوا على نفسهم ويقولوا إحنا عملنا اللي علينا معاها، ساعات كلمة «أنا كويسة» بتريح اللي قدامك، بتخلصه من الواجب التقيل اللي فضل شايله طول الطريق علشان شايل هم ردك عليه لما يسألك مالك؟ وأنا قررت أعفي الكل من الثُقل ده.

مش هنكر إن الدنيا بتضيق والدايرة كمان بتضيق، وانا عارفة إني مش هخرج من الحدوتة دي بخسارته هو وبس، عارفة إن فيه ناس كتير هتقع مني، وعارفة برده إني لو عديت الفترة دي من غيرهم مش هلف وارجع لهم تاني.

ما بلومش على حد إنه ما كانش جنبي وانا بعيش فترة زي دي، ولا وانا باخد قرارات زي اللي باخدها دلوقتي ومن غير حسابات جايز تخسَّرني كتير

قدام؛ لأني على قد ما أنا محتاجة لحد يكون جنبي، على قد ما أنا مبسوطة إني بعد ما كنت طول الوقت بقول إني ماشية أتعكز على اللي في حياتي وأولهم هو..

اكتشفت إن ما حدش كان ساندني غيري والباقي كله «تروكاچ» مش حقيقة.

(11)

أسوان

لحنٌ لم يكتمل بعد

- أسوان - ١٩٨١

أيةُ فتاةٍ تشعر وكأنها امتلكت العالم بأكملهِ فقط إن أحبت من يحبها، فماذا عني واليوم سيأتي لخطبتي من لم يدق قلبي يومًا أو تلمع عيناي لأحدٍ سواه؟

أشعر بصوت خفقان قلبي يصل من قريتي إلى القرى المحيطة، بل والبلدان المحيطة أيضًا، فقد تجاوزنا عامًا وبضعة أشهر منذ اللحظةِ التي سمعته يتحدث مع أخي راغبًا في أن أصبح زوجته، ومنذ تلك الأثناء وأنا أنتظر نزولنا إلى مصر لكي يتحول ذاك الحلم إلى حقيقة ويصبح ملكي كما تمنيث منذ أول لحظةٍ رأيته بها، حاول جاهدًا أن تأخذ العلاقة أي شكلٍ من الأشكال الرسمية حتى يكون بإمكاننا الخروج معًا أو التنزه، ولكن رفض أخي ذلك رفضًا قاطعًا طوال فترة إقامتنا بالعراق مبررًا أنه لا يصح أن يتم ذلك دون زيارةٍ عائلية من كبيرهم لطلب ابنتنا، ورغم أنني كنت أتمنى أن يحدث ذلك بأي شكلٍ من الأشكال وبأقصى سرعةٍ إلا أنني سعدت كثيرًا بتعزيز أخي لي حتى وإن كنا جميعًا نجلس في نفس المنزل وتحت سقفٍ واحد، فقد أقسم ألا يتغير أي شيءٍ أوحتى نقرأ فاتحة حتى نعود إلى بلدنا الحبيبة أسوان ويتقدم هو لخطبتي، ويأتي هو وأسرته تلك المسافة الكبيرة التي تفصلنا عن بلدهم «المنصورة»، لكي يعرفون جيدًا كيف يكون السبيل شاقًا لتُصبح رؤى أحد أفراد أسرتهم.

***

وكأيةِ فرحة انتظرتها ولم تأتِ فاجأني هو أيضًا، كأن قلبي لم يُكتب له السعادة حتى ولو بالقلم الرصاص، اختفى فجأة واختفت معه كل أخباره ومتى؟ في اليوم الذي سيتقدم فيه لخطبتي.. هل رأيت اختبارَ حزنٍ أسوأ من هذا؟

ومع ذلك كنت واثقة من أن هناك شيئًا كبيرًا قد منعه ومنحتُه مئة عذرٍ لكي أُمكّن قلبي من مسامحته، حتى جاءتني فكرة أن أرسل مرسالًا إلى بلدته بالمنصورة ليطمئنني عليه بالطبع دون علم أسرتي؛ فمنذ ذلك اليوم وهم لا يرغبون حتى في ذكر اسمه.

ولكن حين عاد المرسال لم يعد بالشيء الذي كنتُ أرغب في سماعه مطلقًا فقد عاد بكسرةٍ لن أنساها طوال حياتي، وردهِ الذي سيظل يتردد على أذنيَّ حتى الممات «قول لها كل شيء قسمة ونصيب».

***

لم أرَ أي شيءٍ من الممكن أن يرد إليَّ اعتباري وكرامتي التي لم أتمكن من الإلمام بها بعد ما فعله سوى الموافقةِ على أول عريسٍ تقدم إلى خطبتي، لم أتمكن وقتها من معرفة إن كنت أعاقبه أم أعاقب نفسي لأنني وثقت به لهذه الدرجة.

لم أشعر بأي شيءٍ مما تشعر به أي عروس، كنتُ أشعر دائمًا أن هناك شيئًا لن يكتمل بأحدٍ غيره، ولكن كرامتي كانت فوق كل شيءٍ فعاندت الغبار الذي تكاثف على قلبي مانعًا عنه الفرحة، تزوجت وأصبحتُ تاجًا على رأس رجلٍ آخر، المشكلة التي كانت بيننا دائمًا هو أن كل شيءٍ كان طبيعيًا للغاية، روتين يومي لا نحيد عنه، يأتي من العمل يتناول الغداء، ينام ساعة أو ساعتين ومن ثمَّ يلتقي بأصدقائه ويعود ليجدني نائمة، شجاراتنا أيضًا كانت روتينية، ينفعل فيرفع صوته ومن ثمَّ يعتذر ويُقبِّل رأسي ونعود إلى ما كنا عليه.

ظللنا على هذا الحال لثلاثةِ أعوام كنت قد اعتدت فيهم على كل هذه الأشياء، وقد رزقني الله بطفلين أضافا إلى حياتي روتينًا جديدًا لا أملُّ منه مهما تكرر.

حتى جاء اليوم الذي وجدته أمامي من جديد، كنت في حديقة منزلي أسقي صديقاتي من الورود اللاتي كنت أهرب إليهن دائمًا لأشكو حالي أو أبكي على حالي.. وإذ فجأة رأيته أمامي بابتسامتهِ وعينيه اللتين بإمكانهما أن تأسرا نساء قريةٍ بأكملها بنظرةٍ واحدة، في بداية الأمر خُيل لي أنني ما زلت محمومة وحرارتي التي انخفضت بالأمس تضاعفت مرة أخرى وانتكست..

حتى همس باسمي، هنا تيقنت أنه حقًّا أمامي.

سليم:

-وحشتيني يا رؤى.

رؤى:

-إنت اتجننت؟! إنت إيه اللي جابك هنا؟

إنت داري إنت فين؟

سليم:

-داري يا رؤى، المهم تكوني إنتِ اللي دارية!

رؤى:

-هو انت اتجننت ولّا عقلك اتلحس ولّا داست على مخك عربية نسيتك إن عدا أوان أي كلام جاي تقوله من ٣ سنين؟

سليم:

-ما فاتش الأوان طول ما أنا شايفك بتتخطفي نفس الخطفة أول ما تشوفيني.

رؤى:

-لأ إنت فاهم غلط دي خضة مش خطفة، خضتي من جوزي أبو عيالي اللي مش هبقى عارفة أفسر له سبب وجودك هنا لو جه وشافك!

سليم:

-صح هتقولي له إيه فعلًا؟ دا سليم اللي سميت ابنك على اسمه؟!

رؤى:

-إنت عايز إيه يا سليم؟

سليم:

-عايز نرجع لبعض وننسى اللي فات كله.

رؤى:

-لأ دا انت اتجننت رسمي.

سليم:

-رؤى إنتِ لسه بتحبيني وانا واثق من ده.

رؤى:

-دا بأمارة العيلين اللي جبتهم من راجل غيرك!!

سليم:

-وهو كل من خلفت تبقى حبت؟

رؤى:

-سليم أرجوك تمشي من هنا، أنا مش عايزة مشاكل.

سليم:

-وانا مش عايز غيرك.

رؤى:

-جيت متأخر ٣ سنين.

سليم:

-وانتِ جيتي لي متأخرة عمر بحاله، رؤى صدقيني كان غصب عني.

رؤى:

-كل شيء قسمة ونصيب.

أنهيت الحديث بالجملةِ التي جاءني بها المرسال منه منذ ثلاثة أعوام، وفررت من الحديقة إلى منزلي وأغلقت الباب في وجههِ معتبرة ذلك أكبر انتقامًا لكرامتي حتى وإن جاء متأخرًا ثلاثة أعوام، لكن الشيء المؤلم حقًّا هي جملته هذه: «وهو كل من خلفت تبقى حبت!»..

فمع الأسف كان محقًّا.

نفسي أفهم ليه دايمًا الحاجة بتيجي بعد ما يفوت حتى أوان انتظارها، ليه بنحس بقيمة اللي كان في إيدينا بعد ما يتحرَّم على قلوبنا، ليه بنرخص الغالي لحد ما يجي غيرنا ويرجَّعه لمكانه وبعد كدا نقدَّر قيمته ونتمنى لو نطوله من تاني.

أنا كنت مستنياه، مستنياه وعارفة إنه هيجي وهيقف على عتبة بابي اللي كنت متأكدة إني هرده في وشه، بس اللي ما كُنتش أعرفه إن بعد كل اللي عامله دا لسه قلبي متشعلق فيه ورافض حتى يشوف غيره بعد ما بقيت زوجة وأم من راجل بيضربوا المثل برجولته.. بس إحنا كدا دايمًا بنبص تحت رجلينا وفاكرين إننا ماشيين طريق القلب مجبرين، بس الحقيقة إن إحنا اللي بنكون عايزين دا وشايفين فيه خلاصنا وبداية الفرحة اللي بجد، ساعات بتصيب والفرحة بتيجي حتى ولو بعد شوقة، وساعات بنرجع قد اللي مشيناه ألف مرة طمعانين في العادي اللي كنا رافضينه بعد ما ذُقنا المر اللي قلوبنا حليته في عينينا.اختياراتنا سواء كانت غلط أو صح هتفضل اختياراتنا، وإذا كنا اختارنا نمشي الطريق لنهايته فلازم نكون فاهمين إن محدش هيشيل

الشيلة غيرنا.

ودا اللي أنا كنت بفكر فيه لما قررت أضحي باللي كتير غيري ممكن يبقوا بيتمنوه واطلب الطلاق وانا شايلة على إيدي عيلين لسه ما يعرفوش يعني إيه أب وأم وعيلة، ما اقدرش أقول إني عملت كدا علشان عندي عشم أتلم أنا وسليم في بيت واحد لإن أنا عارفة موقف أهلي منه كويس، وكمان موقف قلبي إلى مش قادر يسامحه على الغيبة دي كلها، بس أنا ما كُنتش قادرة أتقبل إحساسي لو بقيت في يوم من الأيام زوجة خاينة عايشة مع راجل بجسمها وبس، لكن قلبها وعقلها وروحها مع راجل غيره، يمكن قبل كدا كنت بتعامل مع سليم إنه مجرد ذكرى بفتكرها واتندم على الفرحة اللي ما كملتش، لكن دلوقتي وبعد ما لاقيته قدامي والدم جري في عروقي وحسي اللي اتنبح بشُفته وقلبي اللي كان هيفط مني أول ما نطق اسمي؛ ما بقاش ينفع أكمل علشان اللي اسمي مكتوبة على اسمه قبل ما يكون علشاني.. وعلشان ولادي من قبلنا احنا الاتنين، سليم ولميا اللي الضافر اللي بيطيره المقص منهم أغلى من أغلى غالي، وعمري ما هرضى لهم إني أعيش مع أبوهم وعيني شايفة غيره.

وزي ما كل وحش بيبان وقت الفراق يشهد ربنا إني ما شُفتش منه غير كل خير وسماحة ورضا وتقبل لكل كلمة قلتها، ولكل إحساس حاولت أوصفه له، جايز لأنه هو كمان كان حاسس وشايف إننا عايشين مع بعض من غير ما حد فينا يحاول يضيف لعيشتنا حياة أو روح، زي ما نكون رضينا باللي اتحطينا فيه والسرير اللي بقى بيجمعنا ودوامة العيال اللي سرقتنا بدري بدري ونسينا نسأل نفسنا سؤال مهم جدًّا:

-هل إحنا عايزين فعلًا نكمل، ولَّا إحنا من البداية كنا مضطرين إننا نكمل؟!

ويوم ما واجهنا بعض بكل دا كانت النتيجة إننا اتطلقنا.

(12)

القاهرة

لم يعد حبيبي

اليوم يوم زفاف حبيبي، اليوم ترتدي له الأبيض أخرى غيري، ولا شيء بيدي سوى الجلوس على هذه الأريكة التي جلسنا عليها مرة ونحن نشاهد فيلمًا من أفلامنا المفضلة التي ظننا أننا لن ننهيها أبدًا من كثرة المشترك بيننا منها، مثلها مثل تلك المكتبة التي أعددناها وتعاهدنا ألا يمسسها أحد سوانا، أو ربما أولادنا مستقبلًا حيث اتفقنا أن نُنشِئهم على حب الكتب والفن والمزيكا، وأن أحمد زكي هو الأسطورة التي لن تتكرر، ونور الشريف كان آخر الفنانين المحترمين، وفيروز في الشتاء ستشعرهم بالدفء، ونجاة حنان صوتها يكفي، وألا يُصدقوا الثقة التي ستشعرهم بها أم كلثوم في أغانيها حينما تخبرهم بأن الرجال يستحقون العشق، أنا من أضفت هذه الجملة حينها وهو اعترض قائلًا: «ما عدا أنا علشان أنا أستحق»، وفي النهاية ظهر أنه كان أكثر الذين لم يستحقوا الحب أبدًا.

سيل من المشاعر المختلطة يتجادل بداخلي الآن، لا أعلم أيًّا منها سينتصر في النهاية، لكنني على علمٍ تام بأن النهاية قد كُتبت منذ اليوم الذي رأيته رادخًا لكل شيءٍ بحجة الظروف، ومستسلمًا لما فرَضَته عليه أمه من أفكارٍ عقيمة وطبقية انتهت منذ زمن.

كانت أمي على حقٍ حين أخبرتني أن المواقف هي فقط التي ستجبرني على وضع أي شخصٍ في المكان الذي كان يستحقه منذ البداية، لكنها لم تخبرني أنها في يومٍ من الأيام ستجبرني على وضع أهم من بحياتي في خانة اللا مكان، ويصبح مجرد ذكرى أتمنى لو لم أتذكرها قط.

أعلم أنني لن أستطيع هكذا، لن أستطيع السيطرة على ما أشعر به الآن وعليّ أن ألفظه من داخلي لأنجو، لذا قررت أن أذهب إليه متراجعة عن عهدي لنفسي بأنني لن أراه ثانية، ومبررة لكرامتي بأن المرة السابقة لا يجب أن تكون الأخيرة، فهناك أشياء لن أهدأ حتى أراها تلهو بعيدًا بدلًا من تركها للعبث بأفكاري.

أقل من ساعة ووجدتَني أقف أمام منزله، ضربات قلبي تزداد ولا أعلم ما الذي يجب عليّ فعله الآن؟ هل أعود من حيث أتيت أم أدق الباب وليحدث ما قد يحدث؟ وبينما عالقة أنا بين تقديم خطوةٍ وتأخير الأخرى أطلق هو الرحمة باتجاه فضولي وقام بفتح الباب.

عبد الرحمن:

-ليزا!

ليزا:

-ينفع أدخل؟

عبد الرحمن:

-طبعًا.

كنت أشعر بأنني أدخل هذا المنزل لأول مرة، أشعر بغربةٍ لم أشعر بها من قبل، وبرودة تخترق جسدي وكأن الجدران تخبرني أنني لم أعد صاحبة هذا المكان، فليس من العدل أن أنال ولو قسطًا نهائيًا من دفئه.

عبد الرحمن:

-غريبة إنك عرفتِ إني هكون هنا، مش في البيت التاني.

ليزا:

-عارفة إنك لما بتحب تكون لوحدك بتيجي هنا، وبيتهيأ لي مفيش يوم هتكون محتاج تقعد فيه مع نفسك زي اليوم ده.

عبد الرحمن:

-تعرفي إني امبارح فكرت آجي لك.

ليزا:

-والأكيد إنك خُفت تعمل ده، علشان عارفني وعارف رد فعلي كان هيكون إيه، زي ما بيتهيأ لي لازم تبقى عارف إني لا هنا علشان أترجاك ترجع عن قرارك، ولا حتى أعطلك عن الحاجات الكتير اللي أكيد لازم تعملها، أنا هنا علشان...

وهنا فقط أدركتُ أنني كنت أخدع حالي بأن هناك كثيرًا من الأشياء كنت أرغب في إنهائها بداخلي لكي أتمكن من تنفيذ ما قد عزمت عليه، الآن أعلم أن قلبي هو من أخذني إليه لكي أراه لمرةٍ أخرى قبل أن ينقل دبلته إلى يده المقابلة، وتختلط رائحته بواحدةٍ غيري.

ليزا:

-تصدق أنا مش عارفة أنا هنا ليه؟ عارف لما تحس فجأة إنك عايز تقف قدام أكتر شخص ظلمك في الحياة وانت مجهز محاضرة طويلة عريضة عايز ترميها في وشه وأول ما تتحط قدامه وعينك في عينيه لسانك يتلجم

ومشاعرك تتلخبط وتبقى مش عايز أي حاجة غير إنك تمشي؟ أهو أنا دلوقتي عايزة أمشي.

عبد الرحمن:

-طب ممكن تدخلي ونتكلم شوية؟

ليزا:

-مفيش حاجة ممكن نقولها.

عبد الرحمن:

-طب ادخلي بس.

تقدمتُ خطواتٍ بداخل المنزل وأنا أتلفت حولي كأنني أودع كل ركنٍ فيه.

عبد الرحمن:

-إيه المكان هيوحشك؟ طب وصاحبه مش هيوحشك؟

ليزا:

-أنا أول مرة أبقى هنا وابقى حاسة إني خايفة.

عبد الرحمن:

-عليًا ولا مني؟

ليزا:

-لا إنت بقى ما يتخافش عليك خلاص، بقيت محدد هدفك وواخد قرارك وعارف هتعمل إيه كويس.

عبد الرحمن:

-يعني مني؟!

ليزا:

-لأ من نفسي.

عبد الرحمن:

-سيبي قلبك يعمل اللي عايزه.

ليزا:

-إنت إمتى بقيت أناني كده؟ ولّا انت كنت كدا وانا اللي ما كُنتش واخدة بالي؟

عبد الرحمن:

-أناني علشان بحبك؟

ليزا:

-لأ أناني علشان حبك ليا مش مكفيك، مش سبب كافي بالنسبةِ لك يخليك تيجي على نفسك مرة واحدة وتحارب علشاني.. عمومًا أنا مش جاية علشان...

وقبل أنا أنطق بكلمةٍ أخرى ألصق فمه بفمي، في قبلةٍ كنتُ بحاجةٍ لها فلم أتمنَّع، ولم أبتعد، تركت العنان لأنفاسي تُراقص أنفاسه في صمت، ويداه تتحركان على جسدي لتُشعراه بأنه لن يُصبح ملكًا لرجلٍ آخر غيره حتى ولو بالكذب، تماديت في خطأ أعلم عواقبه، وشعرتُ وكأنني أغرق في بئر رائحته ولن أحاول أن أنجو رغم أن النهاية معروفة.

عبد الرحمن:

-أنا آسف!

ابتعدتُ عنه وداخلي يرجوه أن يكرر خطأه مرة أخرى.ليزا:

-إيه شُفت إن كل اللي كان ما بينا مش هيعذبني كفاية لما افتكره بعدين فقررت تزوده شوية؟!

عبد الرحمن:

-أنا اللي هتعذب يا ليزا.

ليزا:

-ليه بتقول كده؟! مش يمكن ترتاح!

-على الأقل عندك أوبشن، لكن أنا ما عنديش.

عبد الرحمن:

-طب ليه تعذبي نفسك؟!

ليزا:

-علشان إنت راضي لي عذاب أكبر بكتير من اللي راضياه لنفسي.

عبد الرحمن:

-أنا عمري ما قصدت أوجعك ولا هيحصل.

ليزا:

-حتى لو ما قصدتش فانت عملت..

عمومًا كُتر الكلام مش هيفيد، أنا ما اعرفش أنا جيت ليه؟ يمكن كان من نصيبي ذكرى جديدة أخلقها ما بينا علشان أفضل أعذب نفسي بيها، ويمكن ما كانش آخر وداع ما بينا كفاية بالنسبة لي، بس خليني أقول لك إني عمري ما هسامحك على ظلمك لنفسك قبل ظلمك ليا.

أشوفك على خير يا عريس، آه بالمناسبة دي هدية بسيطة كدا كنت حالفة إني مش هلبسها لحد غيرك، بس أهو نصيبك تشوفها على جسم واحدة غيري، ولو اني عارفة إن القالب غالب بس انت نفسك حلوة وتساع من الحبايب ألف..

مش هعطلك أكتر من كدا، بس خليك فاكر أنا اللي يدوق حنيتي ما يستطعمش أي حاجة بعدها.. هتجيلي وأوعدك إني مش هفتح لك الباب اللي رديته في وشي.. مع السلامة.

فيه نهايات بتبقى محفوظة وواضحة قدام عينينا بس بنستموت لآخر لحظة يمكن تحصل معجزة ونقدر نغيرها، بنبقى شايفين إن آخرة الطريق حيطة سد بس بنضحك على قلوبنا لحد ما نصدق إنها حيطة تروكاج،fake مش حقيقة، بنوصل، آه بنوصل، بس واحنا موهومين إننا هنوصل عندها ونعدي منها من غير ولا خدش، لحد ما نتعور ساعتها، بس أول ما نحس بجروحنا بتنزف بنتأكد إننا اتغفلنا أو بمعنى أصح إحنا اللي رضينا إننا نتغفل، بقالي كتير وانا عارفة إني بحاول في اللي مش نافع فيه محاولة، وعارفة إني لو كنت كسبت فـ آخري كنت هكسب ذكرى هفضل ألعنها طول عمري مع اللي قبلها، بس على قد ما كنت واثقة إني هفشل كان جوايا حاجة بتقول لي حاولي الموضوع يستاهل، مفيش أصعب من إنك تلاقي حب حقيقي علشان كدا يوم ما تلاقيه لازم تتمسك بيه، بس قبل ما نتأكد إن الحب دا حقيقي كان لازم نتأكد إن الراجل اللي هندي له الحب دا كله هو كمان حقيقي، عبد الرحمن مش راجل وحش، بس ما عرفش يشيل مسئولية قلبه، ما قدرش يفهم إن صعوبة بحبك مش في نطقها صعوبتها في اللي بيجي بعد كدا ولازم تكون قده.

لو هنحسبها حسبة قلب فأنا طلعت من اللعبة دي خسرانة كتير أوي، ولو هنحسبها حسبة عقل فأنا طلعت منها مغفلة، وفي الحالتين لازم أعترف إني اختارت غلط.

في يوم زي دا وفي كسرة زي دي ماتمنتش يكون حد جنبي غير «غنوة» شريكة وحدتي والوحيدة اللي حسستني إني مش زرعة شيطاني، وإن ليا حد أتسند عليه، بس للأسف في أكتر فترة أنا محتاجة لها هي بتجاهد هناك في حدوتة تانية يا رب يطلع راجلها في الآخر يستاهل وما تدوقش اللي دُقته.

(13)

أسوان

رحلت الغمامة

يحتاج الإنسان من وقتٍ لآخر لترك كل ما وراءه، وإيقاف إعدادات عقله وقلبه وإشارات الخوف من المجهول، وإعطاء جهاز التحكم لمن سيزيح عنه كل ذلك، ويثبت له أن هناك زاوية من حياته لم يرَها بعد، يكون محظوظًا من يرسل إليه القدر شخصًا كهذا، وأعترف بأنني كنت أكثر المحظوظين من هذه الناحية.

رؤى:

-يعني لسه عقلك بياكلك برده وعايزة الموبايل؟

غنوة:

-والله ما عايزة أطمن غير على ليزا، ما اعرفش ليه حاسة إن قلبي مقبوض وقلقانة عليها، دي مالهاش حد في الدنيا غيري.

رؤى:

-من ساعة ما حكيتي لي حكايتها وانا قلبي واجعني، كنت فاكرة إن ما حدش شاف الغُلب اللي شفته.. دا الواحد طلع في نعمة.

غنوة:

-يا حبيبتي من صغرها حمالة قاسية.

رؤى:

-إنتِ ما قلتليش بردو عرفتوا بعض إزاي؟

غنوة:

-بابا الله يرحمه كان محامي الست اللي اتبنيتها، وأول ما اتوفت اعتبر نفسه مسئول عنها خصوصًا بعد ما أهلها حاولوا ياكلوا حقها قدام عينيه، ومن ساعتها وانا وهي بقينا صحاب، وقربنا من بعض أكتر بعد وفاة أبويا الله يرحمه، وقتها هي رفضت إني أعيش في اسكندرية لوحدي وخدتني أعيش معاها في القاهرة، ومن وقتها مافترقناش.. كنا شركا في كل حاجة حتى في اختيارتنا الغلط!

رؤى:

-طب خدي موبايلك أهو وطمني قلبك عليها يا بنتي، بس عليها هي وبس.

غنوة:

-ما تقلقيش بقى، زي ما اتفقنا هعرف قيمة نفسي كويس وهقدرها.

والتقطت الهاتف وقمت بالاتصال برقم ليزا فوجدت الهاتف مغلقًا.

غنوة:

-مقفول.

رؤى:

-ما تقلقيش نفسك، شوية وجربي تاني.

غنوة:

-ربنا يستر.. ها مش ناوية بقى تكملي لي؟

رؤى:

-إحنا وقفنا فين؟

غنوة:

-لحد ما جالك في بيت جوزك ومشيتيه مكسور.

رؤى:

-أنا اللي اتكسرت مش هو، ودا اللي أكد لي إني لسه بحبه واني لو كملت في جوازتي هبقى بضحك على نفسي وعلى الراجل اللي بقيت شايلة اسمه.. فاتطلقت.

غنوة:

-ورجعتِ له؟

رؤى:

-في البداية ما كانش عندي أي نية إني أرجع له، وكنت شايفة إنه أذاني وأذى نفسه وأذى ولادي اللي شالوا اسم راجل تاني مش اسمه هو.. بس علشان قلبي مالوش حاكم ولا رابط شوية حنيت ورجعت وقاسيت أكتر من اللي قاسيته في بُعده، علشان القرب بقى مرهون بالخوف.

بعد ما رجعنا دقت حنان عمري ما دُقته، بس غالبًا كان بيدوقهولي علشان يرده في قلبي بعد شوية غدر وقساوة.

في الأول حياتنا مشيت زي أي زوجين وخلفت منه بنت وولد زي القمر،

كنت عايشة مسالمة ومبسوطة وراضية باللي ربنا قسمه لي وبولادي الأربعة في حضني من غير ما ربنا يكتب عليا فراق واحد فيهم، بس بعد شوية حياتي بقت عبارة عن ذل ومهانة وبهدلة وتهديد.

غنوة:

-تهديد!

رؤى:

-آه تهديد، تهديد إنه هيمشي أو هيطلقني أو هيسيبني على ذمته زي الصبارة في بلكونة بيتنا مالهاش لازمة.

-هتصدقي إن كل مرة كنت بخاف وبترعب وابوس إيده ورجله علشان ما ينفذش تهديده، كنت بغلَّط نفسي وانا مش غلطانة، واعتذر له وانا متهانة، وارضى باللي ما ترضاهوش حتى خدامة علشان بس ما يسبنيش، كنت أضعف من القشة وما كنتش عارفة أنا جايبة الضعف دا كله منين؟

قلت يمكن علشان ولادي! بس أنا ما حسبتهاش كدا في جوازتي الأولى واطلقت، قلت يمكن علشان قلبي، ما ملعون أبو قلبي!

لاقيته في مرة داخل عليا بعد خناقة وبيقول لي نتطلق، حطيت جزمته قدامه قبل ما البس جزمتي ولاقيتني بقول له: «يلَّا حالًا»، اتصدم زي ما يكون ما كانش متوقع في يوم من الأيام إني أعمل كده، ولقاني بسبقه بخطوة في طريقنا للمأذون، كان على وشه علامة استفهام كبيرة كنت قرياها كانت بتقول لي: «جبتِ القسوة المفاجأة دي منين؟»، بس دي ما كانتش قسوة، كانت أي حاجة غيرها، زهق، رد اعتبار، خسارة مستعجلة لخسارة متوقع تحصل بعدين أو أزمة ثقة في علاقتنا ما كانتش هتنتهي غير بكده، واتطلقنا وكانت دي النهاية.

حاول يرجع بس أنا ولا اتهزيت، دايمًا هتلاقي إن صعب ترجعي في قرار أخدتيه بعد ما عملتِ كل اللي عليكِ وجيتِ على نفسك بدل المرة عشرة.

غنوة:

-ما ندمتيش؟

رؤى:

-هتصدقيني لو قلت لك لأ؟

صعب تعيشي مع واحد مش حاسة بالأمان معاه، حاسة إن طول الوقت هيسيبك ويمشي علشان الصغيرة قبل الكبيرة، ما بيتعبش حتى علشان يفهمك.. صعب تعيشي مع راجل مش مقدر قيمة بُعدك.

غنوة:

-عندك حق.

رؤى:

-علشان كدا عايزاكِ تبصي لنفسك وتشوفِ مصلحتك وما تندميش لحظة واحدة على اللي ما اشتراش خاطرك وباعه بالرخيص.

غنوة:

-بس أنا هعمل اللي قلت لك عليه.

رؤى:

-خايفة تعمليه فتحنِّي.

غنوة:

-مش هقدر أمشي من غير ما اشوفه، حقي وحق السنين اللي رضيت لنفسي بيها بكل ده.

-إنتِ عارفة إن جوزك أرحم بكتير منه.. على الأقل كان واضح حتى في تهديده، أنا كنت بتهدد كل ما كان بيقربني منه زيادة، وكل الظروف بتقول لي إن اللي بيقوله دا مش هيحصل، الراجل الواضح حتى لو كان زفت وطين أرحم بكتير من الراجل الخاين.

-دا قدر يشم ريحة واحدة غيري يا رؤى، قدر ينام في حضنها ويشيلها اسمه، قدر يضحك عليا ولولاكِ ما كُنتش عرفت إنه اتجوز، وكان زمان الكام شهر اللي فاتوا بأنب ضميري إني سبته في وش المدفع ومشيت، علشان كدا أنا هفضل أشكر القدر اللي حطك في طريقي، لولاكِ ما كنتش عديت من كل دا وانا واقفة على رجلي.. لولاكِ ما كنتش شفته زي ما أنا شايفاه دلوقتي، تروكاج مش حبيب، تروكاج مش حقيقي.

المكان دا أنا دخلته قطة مغمضة، ما كُنتش واثقة في أي حاجة غير إني بحبه، ودلوقتي بقيت متأكدة إني مش هطلع منه غير وانا مصدقة إنه أكتر إنسان مؤذي قابلته في حياتي.

لما جيت المكان دا كنت فاكرة إني بهرب من الضغط اللي كنت حساه وانا بحارب في جبهة خسرانة، بس بعد كدا اكتشفت إن أنا اللي كنت ضاغطة نفسي وانا بحارب علشان ولا حاجة.

أول ما عرفت رؤى وسألتها: «ليه عملتِ المكان دا؟»، قالت لي: «علشان كل اللي بشوف على وشهم القهرة والكسرة اللي شفتها على وشك..

فيه ناس من وقت للتاني بتبقى محتاجة ملجأ تروح له من غير ما تحس إنها متكتفة، حد يفتح لها أبواب عقلها اللي قفلتها ومشاعرها اللي مشيتها في سكة واحدة بس، أنا اخترت أعمل مكان للستات بالذات علشان الرجالة الورق بقوا كتير أوي، وانا أول اللي اتكعبلت فيهم، حبيت أبقى عقل اللي بيحب من غير عقل وسنده لو ما ساندوش القلب اللي حبه، فيه اللي بتيجي لي وبشوف في عينيها إنها تقدر تنقذ نفسها من غير ما أساعدها فبمشيها، وفيه اللي ببقى عارفة إنها هتخيب خيبتي فبلحقها».

***

ساعتها حكيت لها حكايتي من أول ما القدر طرحه في طريقي، وهي اللي ساعدتني أفهمني صح، وبعد كام يوم جات لي بخبر جوازه اللي كان أكبر صدمة أخدتها في حياتي، في البداية ما صدقتهاش لحد ما شفت صوَره في الكوشة بعينيا، والفرحة اللي مالية وشه ما تقولش أبدًا حتى إنه مغصوب رغم إن دا مش مبررا!

اتصدمت شوية وانهارت شوية وعيطت ووقعت شوية، ولولا رؤى ما كنتش قمت من اللي أنا فيه، الغريب إني لما فُقت لنفسي ما ندمتش على اللي عيشته، بالعكس أنا حسيت إن كان لازم أعيشه وإن الفوقة كدا كدا بتيجي في وقتها حتى لو متأخرة حبتين.

رؤى قالت لي إن آن الأوان أمشي من هنا، واني بقيت جاهزة لمواجهة مشاعري بطولي، واني لو رجعت يبقى أستاهل كل اللي يحصل لي، بس أنا كنت عارفة إن مهما حصل مش هرجع علشان كدا قررت إن قبل ما امشي فيه مشوار مهم لازم أعمله.. مشوار اتأخر سنين.

(14)

القاهرة

فركش حكايتنا

- موقع التصوير - يوم الفركش

اليوم نتواجد بآخر مكان من الممكن أن يجمعنا سويًا، يبدو أن بعض الأشخاص ينظرون للفرص التي تمنحها لهم وكأنه ليس بإمكانك الاستغناء عنهم مطلقًا، وكأنهم نهاية العالم بالنسبةِ لك، لا يعلمون أن الفرص بقدر المحبة، والمحبة سيأتي يومٌ وتُستنفد للأبد.

علي:

-إزيك يا فيروز؟

فيروز:

-كويسة الحمد لله.

علي:

-فيروز إنتِ فاهمة الموضوع غلط.

فيروز:

-إيه اللي أنا فاهماه غلط؟ أنا اديت لك بدل الفرصة مليون وانت مفيش فايدة، العك بيجري في دمك والمصيبة إنك فاكرني مغفلة!

أنا ببقى حاسة، كل مرة كنت فيها في حضن واحدة غيري كنت ببقى عارفة، أحيانًا كنت بضحك على نفسي وبسكت، وأحيانًا كنت باجي أتخانق معاك وانا مهيأة نفسي إني هصدق أي مبرر هتقوله، وكتير جدًا كنت بقول لك إني هبعد ومش هكمل وانا عارفة إني هرجع تاني وهتوجع تاني وهستحملك تاني.

بس أنا تعبت.. تعبت وما بقاش عندي طاقة أستحمل قرفك أكتر من كده، إنت أذتني أكتر من أذيةْ كل اللي في حياتي ليا، خليتني واحدة مريضة بتصدق غلطاتها اللي ما عملتهاش وتعتذر عنها، فاكر كام مرة شككتني في نفسي وحسستني إني بعمل ألف حاجة غلط علشان تبرر غلطك لنفسك؟ فاكر كام مرة أكدت لي إن ما حدش هيستحملني ويشيل شيلتي غيرك؟ طب فاكر كام مرة خنتني وكان مبررك إن الغلط غلطي أنا؟! فاكر كام مرة استغليت أزمتي النفسية بسبب أبويا ولعبت على الحتة دي بالذات علشان أفضل أستحمل كل ده؟

طب فاكر أنا خسرت بسببك قد إيه واستحملت علشانك إيه؟ وانت مهما وعدتني بترجع تخون وتعك وما عندكش أي استعداد إنك تشيل مسئولية

مشاعرك اللي طول الوقت عايزني أصدق إنها حقيقية!

أنا مش قادرة أتخيل إني سامحتك في يوم من الأيام على إن واحدة غيري شالت طفل منك بعد ما خنتني معاها، لا وكان عندك استعداد تتجوزها لو ما كانتش نزلته في الوقت اللي انت رافض تتحمل فيه أي مسئولية تجاهي.أنا مش قادرة أتخيل إني سامحتك على العك والقرف دا كله، وانت حتى ما بتتعبش علشان تتغير..

حابب دور الدنجوان اللي كل يوم مقضيها مع واحدة، وتيجي بمنتهى البساطة تقول لي إنتِ الوحيدة اللي حبيتها بس مش هينفع أتجوزها.والنبي دا اسمه إيه؟!

أنا ما وثقتش في حياتي في حد غيرك، وما حبتش حد غيرك، ومفيش حد برده دمرني غيرك، خلتني واحدة مهزوزة لا عندها ثقة في نفسها ولا فيك ولا في أي حد حواليها.

علي أنا مش عايزة أكمل، مش عايزة أحاول في اللي مش هيحصل، مش عايزاك في حياتي تاني، وصدقني المرة دي بقولها وانا مفيش جوايا ذرة شك إننا هنرجع.

علي:

-كملي!

فيروز:

-طبعًا دا باعتبار إن دا كلام زي أي كلام قلته قبل كده؟! إنت ما عندكش دم يا أخي؟! مش حاسس باللي عملته وبالقرف اللي بقى بيجري في دمك؟ مش حاسس إنك دمرتني وكرهتني في حياتي وفي نفسي؟!

علي:

-دا كله علشان حبيتك.

فيروز:

-دا مش حب دا مرض، إنت ما تعرفش يعني إيه حب، ما تعرفش إن اللي بتحبه دا أمانة في قلبك لازم تحافظ عليها. علي إنت مريض ومحتاج تتعالج وخليك واثق إني عمري ما هبقى واحدة من حريم علي!

كل حكاية وليها وقتها اللي لازم تنتهي فيه، وقت ما بينفعش فيه الضحك

على الودان والكلام المعسول والمبررات اللي مفيش عليها أي دليل، أنا وهو اشتغلنا مع بعض في المسلسل دا ٥ أسابيع، أنا سامحته على خيانته وكدبه فيهم بدل المرة عشرة، كنا بنخلّص شغل وابقى لسه ساياباه وألاقي واحدة صاحبتي تصادفه بيرقص في حضن واحدة غيري، ميرا رجعت ظهرت تاني، البنت اللي كل ما يسبني يروح لها واللي لما يسيبها يرجع لي، ما اعرفش مين فينا كان بديل للتاني، بس الاحتمال الأكبر إنه لعب بينا إحنا الاتنين.. هي شالت طفل منه وهو ما كانش قد مسئوليته فنزلته، وانا شيلت حب سنين في قلبي وهو برده ما كانش قده فرميته تحت رجلي.

أحيانًا ما ببقاش عارفة أكرهها علشان شاركتني في البني آدم الوحيد اللي حبيته في حياتي، ولّا أبقى رحيمة بيها علشان ربنا ابتلاها بوجوده في حياتها زي ما ابتلاني.

ما قدرتش أفهم العلاقة ما بينهم إزاي عاملة كدا وهو مخليها استبن للفترة اللي أكون مش موجودة فيها في حياته وأول ما أرجع له يسيبها، وما اعرفش برده هي إزاي كانت راضية لنفسها بده، بس الأيام علمتني إن حالات الحب مالهاش كاتالوج، وكل واحد بيحب بطريقته وبيوهم نفسه إنه بيحب برده بطريقته.

قراري بخصوص علاقتي أنا وعلي قرار نهائي مش هرجع فيه مهما حصل، وأكدت كلامي لنفسي لما حجزت في كورس إخراج في أمريكا وقررت أسافر أفصل من كل العك اللي كان حاصل لي، وابدأ أبص لمستقبلي شوية وللحاجة الوحيدة اللي كانت شغلاني قبل ما يظهر في حياتي.. شغلي.

(14)

القاهرة

عيني علينا يا أهل الفن

قررتُ أن أتجاهل كل ما قد حدث الفترة الماضية وأفكر فقط في الشيء الذي رغبت فيه دائمًا «التمثيل»، تركت المنصورة وانتقلت للعمل في القاهرة بعد أن أجلت الدراسة هذا العام، بالطبع وجدت صعوبة في إقناع عائلتي وخصوصًا أمي في التنازل عن عامٍ بأكمله في طريقي لأن أصبح مهندسة كما كانوا يرغبون، ولكن في النهاية اقتنعوا وتركوا لي حرية الأمر، أعلم جيدًا أن بداية كل شيءٍ أصعب ما فيه، لذا حاولت جاهدة أن أثبت لنفسي أنني أستطيع، متجاهلة كل ما قد حدث في العام الأسوأ في حياتي على الإطلاق.

لم يمل مالك من محاولة الوصول لي لعدة أشهر متتالية حتى ظننت أنه لن يتوقف أبدًا، إلى أن جاءتني أخبار بأنه ارتبط بإحدى معيدات كليتنا الذي أخبرني يومًا بأنه لا يطيق حتى النظر إليها.

لم أستغرب ما فعله مطلقًا، ربما لأن ما فعله مع تارا سيظل عالقًا في ذهني بأنه أبشع ما يمكن أن يرتكبه أي شخص، وأي شيءٍ سيفعله بعد ذلك سيصبح هينًا إلى جوار فعلته السابقة.

مرت أيام كثيرة أنتظر دموعي التي ستسقط ندمًا عليه ولكن لم يحدث، في بداية الأمر ظننت أن ذلك نتيجة صدمة وقع الخبر عليّ، ولكن حتى الآن لم أشعر بحزنٍ قط، من الممكن أن أكون قد شعرت بالندم ولكن لم أحزن مطلقًا.

لا أعلم إن كنت أصبحت أكثر نضجًا من السابق أم أدركت أن دموعي لن تغير من الواقع شيئًا، أتى الوقت الذي ظننت فيه أنني لم أحب مالك مطلقًا من شدة تبلد مشاعري.. لكنني اكتشفت فيما بعد أن هذا نتج عن أنني لم أكن أحب نفسي سابقًا، والآن أصبحت أحبها بالقدر الكافي الذي مكنني من الثبات والمحاولة في الشيء الذي يستحق.. مستقبلي.

***

عادي إنك تحب حد، تحبه أوي، بس اللي مش عادي إنك تحبه وتنسى تحب نفسك، وفي يوم ما يمشي ماتلاقيش أي حاجة تعيش وتكمل علشانها.

مالك كان أول حب في حياتي، كنت أحيانًا بصحى من النوم وانا مقتنعة إن ربنا رد فيا الروح علشان أفضل أحبه واكمل وانا بحبه، كنت رابطة وجوده بالنفس اللي بتنفسه، علشان كدا استغربت نفسي لما قدرت أبعد عنه، يمكن علشان قدر في لحظة يخوفني منه ويحسسني إنه بني آدم تاني غير اللي حبيته.

أنا ما كنتش فاهمة نفسي ولا فاهمة اللي بعمله من يوم ما قررت إنه ما يبقاش موجود تاني في حياتي، يوم بعيط وكأنه آخر يوم في عمري ويوم مش فارق معايا كل اللي حصل، لدرجة إني كنت فاكرة إني خلاص اتجننت وإعداداتي خلاص باظت، لحد ما قعدت مع عقلي وقررت أصالحه على مشاعري ونتكلم في هدوء، ساعتها اكتشفت إني علشان أحط حب زي دا في قلبي لأي بني آدم في الكون لازم أحط قده ١٠٠ مرة لنفسي الأول، وفي اليوم دا أخدت القرار إني هعمل اللي يرضيني ويريحني وبس ومش هبص لأي حاجة في الدنيا غير للي يسعدني، بعد مشكلة مالك كنت قدمت اعتذار عن امتحانات السنة دي وأهلي ما اعترضوش لأنهم كانوا مقدرين إن دا أكيد نتيجة ضغط ما اتعرضت له، ودا سهّل مهمتي في إقناعهم إني أسافر القاهرة واسعى في موضوع التمثيل، في البداية أكيد لاقيت معارضة منهم، بس بصراحة حقهم وخوفهم كان مبرر خصوصًا بعد اللي شفته لما جيت.جيت لاقيت كل واحد له ألف وش ورا وشه، والواضح منهم يتعد على صوابع الإيد الواحدة، كل واحد فاكر إن غيره جاي ياخد رزقه من غير ما يفكر إن كله مكتوب عند ربنا.

حاولت وسعيت كتير ورش على بروفات على قعدات مع ناس منهم اللي يطلع كويس ومنهم اللي يطلع زي الزفت، بس في النهاية كنت راضية عن سعيي وعارفة إن ربنا هيعوضني، وكفاية أوي بالنسبة لي إني بعمل اللي بحبه ومصدقاه.. وواثقة إني هوصل لكل اللي اتمنيته.

(15)

أسوان

جسر الأماني اتهد

- جسر الأماني – أسوان

جئت لأجد ذكرياتنا قد بدأت في الرحيل هي أيضًا؛ فلم أجد سوى أنقاض جلست لأبكي إلى جوارها وأنا أنتظره للمرةِ الأخيرة.

زين:

-ما قلتليش إنك جاية يعني؟

غنوة:

-حبيت أعملها لك مفاجأة.

زين:

-أحلى مفاجأة في الدنيا.

غنوة:

-حاساك متوتر، هو فيه حاجة ولا إيه؟

زين:

-خالص، إنتِ وحشتيني بس.

غنوة:

-وانت كمان وحشتني أوي، والمكان دا كمان هيوحشني، ليه اتهد؟

زين:

-عايزين يكبروه.

غنوة:

-صح، ما هو ما ينفعش نرضى بالقليل حتى لو كان بيكفينا.

زين:

-عارف إنك بتحبي المكان ده، بس بكرة نخلق لنا بدل المكان عشرة المهم إننا مع بعض.

كنت أنظر له نظرة «إنت ازاي ممثل عظيم كدا وانا مش واخدة بالي؟».

غنوة:

-صح.

زين:

-أنا ليه حاسس إنك مش تمام؟

غنوة:

-تعبانة من الطريق بس شوية ومحتاجة أرتاح، يا ترى أوضتي جاهزة ولَّا دي كمان راحت زي الجسر؟!

زين:

-زي ما هي ومفروشة ومستنياكِ.

غنوة:

-هو أنا ينفع أطلب منك طلب؟

زين:

-محتاجة تسألي يعني؟! طبعًا اطلبي.

غنوة:

-ممكن أنام في حضنك النهار ده؟

زين:

-نعم!

غنوة:

-زي ما سمعت.

زين:

-ما أنا سمعت بس مش فاهم.

غنوة:

-إيه مش من حقي؟

زين:

-مش من حق حد غيرك، بس ازاي؟

غنوة:

-مش عارفة، بس محتاجة لده، أنا رايحة أوضتي وهستناك.

كنت أعي ما أفعله، كنت أعلم أنني أضع نفسي تحت اختبار «حضنه»، الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن يذيب الجليد الذي حاوط قلبي ليمنعه من الشعور بأي شيءٍ تجاهه، والآن أضع نفسي في النار وأدعو الله أن أخرج سالمة.

انتظرته طوال الليل حتى جاء في الواحدة صباحًا.

زين:

-أنا آسف إني اتأخرت عليكِ.

احتضنته محاولة الشبع منه بقدر الإمكان.

زين:

-للدرجة دي وحشتك؟

غنوة:

-أكتر بكتير من اللي واصل لك.

ضمني إليه أكثر قائلًا:

-بحبك.

غنوة:

-من قلبك؟

زين:

-أول مرة تسألي السؤال ده؟

غنوة:

-من قلبك؟

زين:

-ولو مش من قلبي إيه اللي هيجبرني أقولها.

غنوة:

-الواجب.

زين:

-أي واجب؟

غنوة:

-واجب إني صبرت معاك كل السنين دي فبقيت ملزم.

زين:

-إيه الكلام ده؟

ضممته إلى صدري أكثر وحاولت أن أشتم رائحته مثلما تفعل الأم مع طفلها حديث الولادة.

غنوة:

-أنا عايزة أنام، ممكن ما نتكلمش في أي حاجة وتاخدني في حضنك وننام، أنا مش محتاجة أكتر من كده.

وحدث ما رغبت به، ولأول مرة أغمضت عينيَّ بين ذراعيه وغفوت.

استيقظتُ باكرًا قبل أن يستيقظ هو، وصرتُ أتأمل ملامحه وأودعها عن قرب، ومن ثمَّ وضعت قبلة على رأسه بخفةٍ حتى لا يشعر، ومن ثمَّ تجهزت ووضعت الخطاب الذي كتبته له إلى جواره والذي كان يتضمن:

«مش هقدر أبدأ الجواب بحبيبي علشان الكلمة دي بقت من حق واحدة غيري، عارفة إني أخدت جزء كبير من حقها بنومي في حضنك امبارح، بس ما كنتش هستحمل أبعد من غير ما أعيش لحظة زي اللي هصحى فيها من نومي وانا شامة ريحتك وسامعة ضربات قلبك، مش عارفة قدرت تقنعها إزاي بنومك بعيد عنها لإني لو مكانها عمري ما كنت هسيبك تتنفس لحظة بعيد عن حضني، ما تكدبش عليها تاني.. وإذا كنت أنا الشخص الوحيد اللي بيخليك تكدب علشان تحافظ على وجوده في حياتك فأنا من النهار دا مش هبقى موجودة.. هستنى واتابع كتاباتك من بعيد لبعيد وانا عارفة وواثقة إنك هتفضل تكتب لي، بس أنا بقى هكتب لغيرك، ما أنا مش هعيش مغفلة بندم عليك ولّا أكتب لحب عمري اللي بنى عشه مع واحدة تانية.

أنا رضيت لنفسي بظلم مفيش حد يرضاه لنفسه أملًا في النهاية السعيدة اللي ما بتحصلش غير في الروايات.. علشان كدا حدوتي المرة دي أنا اللي كتبت نهايتها وختمتها بريحتي اللي هتفضل ماسكة في جسمك مهما حاولت تنساها.. وذنبي اللي عارفة إنه هيفضل في رقبتك مكان ما كانت إيديا شبطانة فيك بالضبط مهما حاولت تصدق إني مسامحاك.. مبروك يا عريس ولو إنها

متأخرة!».

(16)

أسوان

(بعد مرور ثلاثة أعوام)

فيلم سيما

بجنينة منزل رؤى الذي لم يتغير أي ركنٍ فيه وكأن الزمن لم يمر من خلالها جلست الفتيات الأربع: «ليزا، غنوة، فيروز، ملاذ» وإلى جوارهن رؤى والحوار بينهن من منتصفه.

رؤى:

-قلت مش هاجي يعني مش هاجي.

ليزا:

-يعني أنا سايبة شغلي وديكور الفيلم الجديد اللي بجهزه وجاية لحد عندك علشان في الآخر تقولي لي كده؟!

رؤى:

-أنا ما خرجتش برة الدار دي من ٥ سنين ومش ناوية أخرج.

ملاذ:

-بس دا فيلمنا يا رؤى، وفيلمك إنتِ كمان، يعني لازم تبقي موجودة.

غنوة:

-أنا مش هترجاكِ زيهم علشان أنا عارفة إن مش هيهون عليكِ تسيبينا لوحدنا في يوم زي ده، إنتِ متخيلة يعني إيه العرض الخاص للفيلم اللي شايل أحلامنا كلنا وأولهم حلمك إننا نعمل فيلم يكون كل أبطاله قدام وورا الكاميرا بنات، أول إخراج لفيروز، وديكور ليزا، وبطولة ملاذ وتأليفي، وأول حاجة هتشيل اسمي لوحدي، هنهون عليكِ كلنا تكسري فرحتنا؟

رؤى:

-قلت لك بطلي تدخلي لي بالصعبنيات بتاعتك دي بضعف، خلاص هسافر معاكم.

ليزا:

-أيوه بقى أخيرًا!

رؤى:

-سيبكوا إنتوا لميتكوا حواليا دي بالدنيا كلها.

ملاذ:

-إحنا لينا حد غيرك يا رؤى، أنا هفضل أشكر فيروز إنها عرفتني عليكِ.

غنوة:

-لأ بقول لكم إيه؟ أنا اللي اكتشفتها، إنتوا تشكروني أنا.. أنا السبب.

***

من ٣ سنين غنوة كتبت فكرة فيلم لطيفة، بطولة نسائية لبنوتة شابة وحكت حدوته لرؤى، وقتها رؤى قالت لها أجمل فكرة استحالة كانت تخطر على بال أي حد، قالت لها ليه ما تعرضيش الفيلم على منتج بس تشترطي إن الكرو كله يكون نسائي، وقتها غنوة ضحكت وقالت إن من كتر كرهها للرجالة دماغها سرحت لفكرة صعب تتنفذ خصوصًا هنا، بس لما قعدت مع نفسها قالت ليه لأ؟

وأول ما رجعت القاهرة حكت لي الموضوع وتحمست جدًّا وكلمت «رحمة سالم » المنتجة المعروفة وعرضت عليها الفكرة، رحمة كمان تحمست جدًّا بس اشترطت إني أعمل ديكورات الفيلم بنفسي فوافقتها، في الوقت دا كان فيه فيلم قصير من إخراج فيروز وصل لمهرجان كان وكان من بطولة ملاذ، بعد ما شفته تحمست جدًّا وعرضت على رحمة إننا نجازف بروح جديدة كمان في الفيلم من حيث الإخراج والبطولة، ورحمة رحبت جدًّا أول ما شافت الفيلم، وقد كان...

بعد ما ابتدينا تحضيرات وابتدينا نتعرف كلنا عن قرب وقربنا أوي من بعض، اكتشفنا إن أكتر حاجة اتجمعنا عليها هي اختيارتنا الغلط وخصوصًا في الرجالة.. الأمر اللي كان من السهل جدًّا نكتشفه في أول قعدة ستات قعدناها، وكل واحدة فينا ابتدت تحكي حكايتها.

اللي كان يضحك في القاعدة فعلًا هي حكايتي أنا وغنوة والتشابه اللي ما بين علاقتها بزين وعلاقتها بعبد الرحمن، الفترة اللي الاتنين اتجوزوا فيها كانت تقريبًا واحدة، وحتى الطريقة اللي كل واحدة فينا نهت بيها علاقتها كانت تقريبًا متشابهة، أنا نهيتها ببوسة وهي نهيتها بحضن، منتهى الكوميديا اللي في الحياة، ولًا ملاذ ومكاتب الكاستنج اللي حكت لنا على القرف اللي شافته فيها، والوسط والنفسنه والمشاكل وكرش مالك اللي بقى قدامه بعد ما اتجوز وخلف، وفيروز اللي فضلت تكلمنا عن الفرق ما بين هنا وأمريكا، وميرا اللي لحد دلوقتي لسه «علي» بيلف لفته ويرجع لها، واللي كان ممكن هي تبقى

مكانها دلوقتي لو ما حكّمتش عقلها.

على قد ما كل اللي حكيناه لبعض كان يوجع ويجرح في وقتها، على قد ما كان صوت ضحكنا واصل آخر الشارع واحنا بنحكي لبعض التجارب دي بعد ما السنين دي عدت، علشان كلنا مع الوقت اكتشفنا إن الرجالة اللي بنحكي عنها دي ما كانتش حقيقية كانت تروكاج «فيك»؛ لأن الراجل الحقيقي لا بيبيع ولا بيخون ولا بيتنسي.علشان كدا هتفضل الحاجة الوحيدة اللي هتمنى أتجوز في يوم من الأيام علشانها إني عايزة أبقى أم، عايزة يبقى عندي بنت واعيش معاها كل اللي اتحرمت منه، وما احرمهاش من اللي مالقيتوش، هقول لها كل اللي أمي ما لحقتش تقوله لي.

هعلمها إن الحب ما بيخوِّفش، إحنا اللي أحيانا بنختار اللي يخوفونا منه، ويحسسونا إنه ذنب هنفضل نكفر عنه بقية حياتنا.

هعلمها تصدق العلامات اللي هتترمي في طريقها طول الوقت، واللي ما ينفعش حبة مشاعر يخلوها تدور وشها عن رسايل ربنا ليها.

هعلمها إن الراجل البخيل في مشاعره أبشع راجل هتقابله في حياتها، وان اللي هيغرقها كلام وبس هيجي يوم ويغرقها دموع.هعلمها إن الظروف بتعلم الرجالة تتمسك أكتر مش تهرب، وإن المبررات لو فضلتِ تصدقيها من غير دليل يبقى تستاهلي كل اللي يجرا لك.

هعلمها إن اللي هيجي على كرامتك مرة ما حبكيش، وإن كرامة الراجل من كرامة اللي في حضنه، لو صانها تبقى بتاعته ولو ما صنهاش يبقى في أقرب فرصة ناوي يرميها.هقول لها إن ما حدش هيحبها قدي، بس اللي هتحبهم هي كتير، علشان كدا لازم تختار لكل واحد الحب اللي على مقاسه، علشان ما تندمش في يوم إنها حبت ومتحبتش الحب اللي تستاهله.

هقول لها الحب بالحب وإن الكره مافيش أسهل منه، بس علشان تحافظي على قلبك وعلى نضافته ما تكرهيش، امشي.

أفتكر إن دي هتبقى الشخص الوحيد اللي مهما حطيت فيه حب عمري ما هندم عليه.. بنتي.

مكتبة العرب الحصرية على
التليجرام @bookArb